أثر معرفة أحكام اللغة في فقه معاني القرآن

أ.م.د. حيدر علي نعمة
الجامعة العراقية / كلية الآداب
&
أ.م.د. أحمد علي نعمة
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

يسلط البحثُ الضوءَ على ما لقواعد اللغة العربية وأحكام نحوها وصرفها وبلاغتها وما يتصل بمُفرداتها وتراكيبها ويتحدَّ مع أبعاد دلالتها من فنون، يتناول ما لذلك كلّهِ من أثرٍ فاعل وإسهامٍ أكيد في فقه معاني القرآن المجيد والتَّعرُّف على حِكَمه وأحكامه؛ فجاء على مقدمةٍ وستَّة مباحث رئيسة، متلوة بخاتمة تتضمَّن أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها من خلال تلك الدِّراسة، وثبتٍ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادَّة العلمية للبحث.. فخصَّصتُ المبحث الأول لبيان مكانة اللغة العربية وأثرها في فقه معاني القرآن الكريم، وجاء المبحث الثاني لتتبُّع خطوات الفهم اللغوي للنص القرآني، يليه المبحث الثالث الذي حدَّد أهمَّ الملامح والسِّمات الأخرى التي لا بدَّ من تضافرها لتمام الفهم، وعقدتُ المبحثَ الرابع لأُفرِغَ فيه صفوة القول وعُصارته في هذا الباب، وجاء المبحث الخامس لاستعراض طائفة مختارة بعناية من آراء العلماء المُتخصِّصين بهذا الصدد.. لأختم بكلمة أخيرة بهذا الشأن؛ وذلك في المبحث السادس، تليه الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع..

Abstract

The current paper sheds lights on the Arabic Language Grammar, its grammatical rules, morphology, rhetoric, the related parts and combinations and the related dimensions of its semantics. So, the paper concerned has a vital impact and real contributions in the jurisprudence of the Glorious Qur'an Meanings and knowing its rule and rules. For this reason, it is divided into an introduction and six parts followed by conclusions embracing the most important results of the study and references: As for the first part, it dealt with the status of the Arabic Language and its effect in the jurisprudence of Qur'anic meanings whereas, the second part presented steps towards linguistic understanding of the Qur'anic texts and it is followed by the third part which is concerned with the other important features. The fourth one highlighted the gist of the study while the fifth part was about the presentation of the view of well-selected scholars and specialists in this regard. Besides, the final words were found in the sixth one. Then, the conclusions and references were highlighted.

مُقدّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام خاتم الأنبياء وسيِّد المُرسلين مُحمَّد المبعوث بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه ودعا بدعوته إلى يوم الدِّين، وبعدُ..

فليس بخافٍ على أحدٍ منا ما للغة العربية من أثرٍ بالغ في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتحديد مراميه، وفقه دلالاته؛ فمن المعلوم أنَّ القرآن عربيٌّ، وقد أنزل على رسول عربيٍّ، وخوطبت به – في بادئ الأمر – أمة العرب، وأنَّ مقصوده الهداية والنصح والإرشاد؛ لذا كان لا بدَّ أن يأتي بيناً واضحاً بالنسبة للأمة المخاطبة به، ولا يكون كذلك حتى تفهمه وتعقله، ولا يتم ذلك حتى يكون جارياً على معهودها في الخطاب، وعاداتها في الكلام.. وهكذا كان القرآنُ الكريم.

لقد نصَّت العديدُ من الآيات الكريمة على عربية هذا الكتاب الكريم(١)، ولما كان الأمر كذلك؛ فإنه لا يمكن العدول بحال عن هذه اللغة التي نزل بها إلى غيرها إذا ما أُريد تفسير الكتاب الذي نزل بها؛ لأنَّ معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلَّا منها، فإنَّ من سنة الله ﷻ أن يرسل الرسول بلسان قومه، وينزل عليهم الكتاب بلسانهم؛ ليبيِّن لهم ويفهموا عن الله ﷻ خطابه ومُراده على ألسنة رُسُله؛ فيؤمنوا به ويُصدِّقوه، ولو كان بغير لغتهم؛ لاحتاجوا إلى تَرْجُمانٍ يُبيِّن لهم حدود ربهم ﷻ وأوامره ونواهيه.

لذا كان حتماً على من يريد فهم القرآن الكريم على نحوٍ صائب أنْ يكون على معرفةٍ ودراية باللغة العربية وأحكامها وما يتعلَّق بها؛ ذلك أنَّ سُنَّة الله ﷻ في خلقه اقتضت أن يُرسل كلَّ رسول بلسان قومه؛ ليحصل المقصود من الرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ ٤].

وسنتعرَّف في هذا البحث بإذن الله على ما لتلك القواعد والأحكام وما يتصل بها ويتحد معها من أثرٍ فاعل وإسهامٍ جبار في فقه معاني القرآن المجيد والتعرُّف على حِكَمه

وأحكامه، فجاء على مقدمة وخمسة مباحث رئيسة، متلوة بخاتمة تتضمَّن أهمَّ النتائج التي توصَّلنا إليها، وثبتٍ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.

المبحث الأول
مكانة اللغة العربية وأثرها في فقه معاني القرآن الكريم

لا بدَّ لنا أن نعرف ابتداءً أنَّ القرآن الكريم مفهوم المعنى كلِّه؛ فليس فيه ألغاز، ولا أحاجي، ولا أسرار كامنة تستفاد من مصادر خارجة عن قوانين اللغة العربية وعُرف استعمال اللسان العربي، وكلُّ تفسير لكلام الله ﷻ خارج عن قانون لغة العرب؛ فهو تفسير بالهوى والتشهِّي، مردودٌ على صاحبه[٢].

رُويَ ((عن ابن عباس ﷺ أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ؛ فقرأ عليه القرآن.. فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل... قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك مُنكِرٌ له – أو أنك كارهٌ له – قال: وماذا أقول؟!! فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن.. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته))[٣]!!

وكان الطفيل بن عمرٍو الدَّوْسي رجلاً شريفاً، شاعراً، لبيباً.. وذات يوم وضع كُرْسفاً[٤] في أُذنيه حين غدا إلى المسجد؛ فرقاً[٥] من أن يبلغه شيءٌ من كتاب الله ﴿تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ﴾؛ ولكنه استدرك قائلاً في نفسه: «واثكل أمي!! والله إني لرجلٌ لبيب، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟!! فإن كان الذي يأتي به حسناً؛ قبلته، وإن كان قبيحاً؛ تركته».. ويسمع الطفيل ﷺ القرآن؛ ويسلم من فوره، ويغدو داعية له بين أهله وعشيرته بعدما كان بالأمس من المناوئين أهل الإباء، ومن الأعداء الألِدَّاء[٦].

وما ذلك كله إلَّا لكون العربي يومذاك يفهم كتاب الله ﷻ، ويتأثر به كما كان قبل الإسلام يسمع الشعر؛ فيفهمه ويرويه؛ لأنَّ كليهما بلسانٍ عربيٍّ مبين.. وما روايتهم للمُعلَّقات وكتابتها بماء الذهب، ورفعها مكاناً علياً، وتعليقها على أستار الكعبة؛ تشريفاً

لها، وفخاراً بها، وزهواً واحتفاءً بقائليها، إلَّا خير شاهد على تلك الحقيقة المسفرة كالصبح الأبلج(٧).

وعليه؛ فإنَّ من يريد فهم القرآن الكريم؛ فلا يسعه إلَّا أن يكون على معرفة ودراية باللغة العربية: بدلالات ألفاظها، وتنوع تراكيبها، واختلاف أساليبها، ووجوه المخاطبات فيها، وما يتصل بها من علوم؛ إذ من خلالها يستشفُّ المعاني، ويستجلي المرامي، ويستقي الدلالات، ويستوضح العبارات(٨)، ((كما كانت سنة الله ﷻ في خلقه أن يرسل كلَّ رسول بلسان قومه؛ حتى يحصل المقصود من الرسالة؛ فيكون الرسول مُبيناً في كلامه وبلاغه، ويكون المخاطب قادراً على الفهم، متمكناً من الإدراك؛ وبهذا تقوم الحجة، وتنقطع المعذرة بالبيان من الرسول، والفهم من المرسل إليه.

... فمعاني كتاب الله ﷻ موافقة لمعاني كلام العرب، كما إنَّ ألفاظه موافقة لألفاظها؛ ولهذا لا يمكن لأحدٍ أن يفهم كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ إلَّا من هذه الجهة: جهة كونه عربياً في ألفاظه وتراكيب تلك الألفاظ، عربياً في أساليبه ومعانيه.. فلا بدَّ في فهم معاني نصوص الكتاب والسنة من مُراعاة معهود العرب في خطابها؛ فلا يصحُّ العدول عن عُرفها في كلامه، كما لا يصحُّ أن يفهم كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ على نحو لا تعرفه العرب من لغتها وأُسلوبها))(٩).

ومن هنا؛ فقد كرَّه الإمام العربي القرشي الصليب محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها(١٠)، ويقول: ((ومن جماع علم كتاب الله ﷻ: العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب))(١١)، وحرص رضي الله عنه أشدَّ الحرص وأبلغه في سفره الجليل «**الرسالة**»، أمِّ أسفار علم أصول فقه الكتاب والسنة على أن يبين بجلاءٍ هذه الحقيقة المسفرة؛ لأنها أمُّ الحقائق التي تبنى عليها كافة القواعد العلمية في هذا الباب.. ولو أنعمنا النظرَ في قوله السابق: «**جماع علم كتاب الله**»؛ لبصُرنا بجلاء أن علم ما في كتاب الله ﷻ من معاني الهدى إنما هو من علم لسان العرب.. فمن علمه وأتقنه؛ كان أهلاً لأن يسلك السبيل آمنة، مفضية إلى مبتغاه، ومن جهله؛ فلا يُجاوزه الخلل، ولن ينجو من الزلل، ولن يخطو خطوة واحدة على الطريق؛ وإن جمع علوم أهل الأرض أجمعين.

وفي هذا السِّياق عقد ابن فارس رحمه الله في سفره القيم «**الصَّاحبي**» باباً بعنوان: «**القول في حاجة أهل الفقه والفُتيا إلى معرفة اللغة العربية**»، جاء فيه: ((إنَّ العلم بلغة العرب واجبٌ على كلِّ مُتعلِّق من العلم بالقرآن والسنة والفُتيا بسبب، حتى لا غناء بأحدٍ منهم عنه؛ وذلك أنَّ القرآن نازلٌ بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ﷻ، وما في سنة رسول الله ﷺ، من كلِّ كلمة غريبة، أو نظم عجيب؛ لم يجد من العلم باللغة بداً... لذلك قلنا: إنَّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم؛ لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم))(١٢).

وقال أبو هلال العسكري رحمه الله: ((فعلمُ العربية – على ما تسمع – من خاصِّ ما يحتاج إليه الإنسانُ لجماله في دنياه، وكمال آلته في علوم دينه))(١٣).. وقال الثعالبي رحمه الله: ((من أحبَّ الله ﷻ؛ أحبَّ رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحبَّ النبيَّ العربي؛ أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب؛ أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب))(١٤).. وقال ابن تيمية رحمه الله: ((إنَّ اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ لأنَّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلَّا بالعربية، وما لا يتمُّ الواجب إلَّا به؛ فهو واجب))(١٥).

وجاء عن أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله في «**موافقاته**» في معرض استعراضه لما تقرَّر من أُمِّيَّة الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها؛ وهم العرب: ((إنه لا بدَّ في فهم الشريعة من اتباع معهود الأُميين؛ وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم.. فإنْ كان للعرب في لسانهم عُرْفٌ مستمرٌّ؛ فلا يصحُّ العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمَّ عُرف؛ فلا يصحُّ أن يُجرَى في فهمها على ما لا تعرفه))(١٦).

وقرَّر رحمه الله في باب «**الاجتهاد**» أنه إذا ما كان هنالك علم تتوقف صحة الاجتهاد عليه؛ فالأقرب في العلوم إلى أن يكون هكذا علم اللغة العربية، ولم يعن بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المُتعلِّقة باللسان؛ بل المُراد: جُملة علم اللسان؛ ألفاظ، أو معانٍ كيف تصوِّرت، وحكم على العربية وعلى المبتدئ في فهمها بالقول: ((إنَّ الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حقَّ الفهم إلَّا من فهم اللغة العربية حقَّ الفهم؛ لأنهما سِيَّان(١٧) في

النمط ما عدا وُجُوه الإعجاز.. فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية؛ فهو مبتدئٌ في فهم الشريعة، أو متوسطاً؛ فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية.. فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية؛ كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمُه فيها حُجَّة، كما كان فهمُ الصحابة ﷺ وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حُجَّة.. فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم.. وكلُّ من قصر فهمه؛ لم يعدَّ حجة، ولا كان قوله فيها مقبولاً))(١٨).

وفي ما خلَّفه لنا علماءُ العربية دليلٌ ثابت على فضلها، فما خلفه أبو الفتح ابن جنّي رحمه الله الذي كان متمكناً من اليونانية؛ لأنه رومي، وما خلَّفه أبو عليٍّ الفارسي رحمه الله الذي كان متمكناً من الفارسية – مع أن الرومية والفارسية كانتا أزهى لغتين في زمانهما بعد العربية – يقوم دليلاً محكماً على أهلية هذه اللغة الكريمة واحتلالها مركز الريادة وتربُّعها على عرش السيادة على سائر لغات أهل الأرض!! وكذلك كان شأن كثير من سلف هذه الأمة؛ حتى أثر عن أبي الريحان البيروني(١٩) قوله: «لأنْ أُشتم بالعربية خيرٌ وأحبُّ إليَّ من أن أُمدح بالفارسية»!! ويقول الدكتور طه حسين: «إنَّ المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب؛ بلْ في رجولتهم نقصٌ كبير، ومهين أيضاً»(٢٠)!!

لقد بلغ من أهمية هذه اللغة ومكانتها في التشريع أنها غدت القاعدة المتينة التي تقوم عليها الأحكام؛ فما من علم ((من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها، وعلمَيْ تفسيرها وأخبارها إلَّا وافتقاره إلى العربية بيّنٌ لا يُدفع ومكشوف لا يتقنع))(٢١)؛ وذلك أنَّ معاني هذه العلوم لا تعرف على الحقيقة إلَّا بمعرفة ألفاظها، والوصلة إلى معرفة ألفاظها معرفة اللغة العربية.

ومن هنا؛ فقد اشترط الأصوليون في المجتهد أن يكون على جانب كبير من التضلُّع من قواعدها وفروعها وتطبيقاتها؛ فإنَّ من أراد استنباط الحكم من النصِّ ولم يكن عالماً بالعربية؛ فإنه قد يضلُّ الطريق في حكمه؛ لأنَّ ((أكثر من ضلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المُثلى إليها؛ فإنما استهواه واستخفَّ حِلْمَه ضعفُه في هذه اللغة الكريمة الشريفة))(٢٢).

وقد أطلق النبيُّ ﷺ على من لحن في اللغة صفة الضلال؛ إذ ورد عنه ﷺ أنه سمع رجلاً يلحن في كلامه؛ فقال: ((أرشدوا أخاكم؛ فإنه قد ضلَّ!!))[٢٣]!! وقد عقَّب أبو الفتح ابن جني رحمه الله على ذلك الأثر؛ مبيناً الحكمة التي تستلهم من تسمية النبي ﷺ اللَّحن ضلالاً، ومن حثِّه على إصلاح اللسان؛ إذ يقول: ((وذلك لما علمه ﷺ ممَّا يعقب الجهلَ لذلك من ضدِّ السَّداد وزيغ الاعتقاد))[٢٤]!!

كما تشدَّد الخلفاء والأئمة من بعده ﷺ في محاربة اللَّحن باللغة؛ فقهاً منهم لأهميتها، وإدراكاً للأثر البارز الذي تحدثه في مجال الدين وأحكامه الدقيقة ومسائله الخطيرة؛ إذ ورد عن أمير المؤمنين عمر ﷺ أنه خرج ذات يوم؛ فلقي شباناً يتبارون في الرَّمي؛ فعاب عليهم طريقة رميهم؛ فانبرى له أحدُهم بالقول: «يا أمير المؤمنين، نحن قوم مُتعلِّمين»؛ فغضب عمر، وقال: لخطؤك في كلامك أشدُّ علينا من خطئك في رميك!! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رحم الله امرأً أصلح من لسانه»[٢٥]!!

كلُّ الذي نقلناه في أهمية هذه اللغة، ووجوب تعلُّمها وتعليمها دالٌّ دلالة بينة محققة على أنه فريضة علم ودين، وأن على كلِّ من تصدَّر أو تصدَّى للنظر في معاني الهدى وبيان مُراد الوحي – الكتاب المجيد والسنة المُطهَّرة – أن يكون عليماً بلسان العربية بالقدر الذي يخرجه عن دائرة الحرج ويربأ به عن مستوى الجهالة بمنهاج الناطقين به إبَّان نزول الوحي؛ فلا يتلبس بشيء من الجهالة بخصائص هذا اللسان وسنن أهله في التخاطب والبيان؛ كيما يتحقق الفهم عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ.

وهكذا فعل سلفنا الصالح والذين جاءوا من بعدهم في خدمتهم الجليلة للغة القرآن؛ أحبُّوها حباً جماً، ووهبوا نفوسهم لها؛ فنقحوها، وقعدوا قواعدها، وأصلوا نحوها وصرفها؛ حتى بلغت درجة الكمال والصفاء، وفي ما سقنا من النصوص والأدلة دلالةٌ مؤكَّدة على أنه لا يسعُ ناظراً في القرآن الكريم أياً كان قدرُه فقه شيء منه إلَّا من سبيل فقهه لسان العربية الذي كان مُمتدَّ النفوذ في أمة العرب إبَّان نزوله؛ فذلك هو السبيل الأول والأهمُّ إلى الاقتراب من حِمَى المعنى القرآني الحكيم[٢٦].

ذلك كلُّه نابعٌ من حقيقة جليلة كانت مفروضة على أرض الواقع، ومتداولة بين أوساط ناسه، مفادُها أنْ ((ليس في الأرض أمة كانت تربيتها لغوية غيرُ أهل هذه

الجزيرة، فما كان فيهم كالبيان آنقُ منظراً، وأبدعُ مظهراً، وأمدُّ سبباً إلى النفس، وأردُّ عليها بالعاقبة، ولا كان لهم كذلك البيان أزكى في أرضهم فزعاً، وأقومُ في سمائهم شرعاً، وأوفرُ في أنفسهم ريعاً، وأكثرُ من سوقهم شراءً وبيعاً.. وهذا موضعٌ عجيب للتأمل، ما ينفد عجبُه على طرح النظر وإبعاده، وإطالة الفكر وترداده، وأيُّ شيء في تاريخ الأمم أعجبُ من نشأةٍ لغوية تنتهي بمُعجزةٍ لغوية، ثمَّ يكون الدِّين والعلم والسِّياسة وسائر مُقوِّمات الأمة ممَّا تنطوي عليه هذه المُعجزة وتأتي به على أكمل وُجُوهه وأحسنها، وتخرج به للدَّهر خيرَ أُمَّة كان عملها في الأُمم صورة أُخرى من تلك المعجزة؟!!))[٢٧].

إننا لا يمكن أن نتصوَّر مُسلماً قد وعى أبعاد دينه الحنيف من غير وعيٍ سليم في مجال اللغة العربية: طبيعتها، وحقائق خصائصها، وأن يتخذ بعد ذلك من مُشكلاتها، وأعدائها موقفاً واعياً مبصراً ينسجم مع وعيه بجميع جوانب حياته الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والروحية؛ فهي جزءٌ لا يتجزأ من دينه إنْ كان للدِّين عنده شأن[٢٨]!!

فكان لزاماً على كلِّ متكلِّمٍ في معاني القرآن المجيد ومُتصدِّرٍ لطرق بيانها على تعدُّد أنواعها، وتشعُّب ضروبها، واتساع وُجُوهها ومجالاتها الجامعة لكافَّة شؤون الحياة، والشاملة لسائر جُمل العلم أنْ يكون أوَّلُ أمره قائماً على كمال تحقيق الفهم للسان العربية، وأن يتقي عظيم ما يتردَّى فيه كثير من المُستجرئين ويتعرض له جملة من أهل النزق مُتمثِّلاً بالقول في معاني القرآن الكريم، وهم لا يتمكَّنون من إقامة ألسنتهم على النطق بجُملةٍ عربية واحدة تسلم لهم على النحو الصَّائب والنهج العربي القويم؛ فراحوا في كلِّ وادٍ يهيمون، ويهرفون بما لا يعرفون؛ فضلُّوا، وأضلُّوا كثيراً، وضلُّوا عن سواء السبيل!!

المبحث الثاني

خطوات الفهم اللغوي للنص القرآني

لقد اتخذ الإسلام العربية لساناً له، فإذا كان الإيمانُ به هداية ونوراً؛ كان الإسلامُ من ذلك النور طبيعته وحقيقته، وكانت اللغة العربية منه المظهرَ الذي تراه العيون، والصَّوتَ الذي تسمعه الآذان، والمسربَ الذي يسلك به إلى القلوب والأذهان[٢٩]؛ فلا سبيل – إذاً – إلى ابتغاء فهم القرآن الكريم إلَّا عن جهة لسان العرب، والاعتماد على لغتهم في ألفاظها وتراكيبها.. فمن تكلَّف في فهمه على غير ذلك؛ فإنَّ موافقته للصَّواب

- إنْ وافقه - غيرُ محمودة، ومن زعم أنه قادرٌ على فهم كلام الله ﷻ من غير معرفةٍ بلسان العرب؛ فقد رام صعباً، وقال محالاً، وأعظم الفرية؛ لأنَّ كلَّ معنىً مستنبطٍ من القرآن الكريم إن لم يكنْ جارياً على اللسان العربي؛ فليس من القرآن، ولا من علومه في شيء؛ إذ لا غناء ولا اكتفاء لعلم من علوم الشريعة عن العربية؛ وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية: فقهها، وكلامها، وعلمَيْ تفسيرها وأخبارها، إلّا وافتقاره إليها وتعويله عليها بيِّنٌ لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنَّع[٣٠].

لذا يجب على مُتدبِّر كتاب الله ﷻ أن يبحث أولاً في معاني الكلمات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً؛ من خلال الرجوع إلى أُمَّات المُعجمات اللغوية، والتبصُّر في مُختلف معاني الكلمة واستعمالاتها الحقيقية والمجازية في لغة العرب إبَّان نزول القرآن الكريم.. كما يجب عليه تتبُّع الكلمة القرآنية، أو الأصل اللغوي لها؛ فإن هذا التَّتبُّع يهدي سبيل المُتدبِّر إلى الفهم الصحيح بفضل الله ﷻ؛ فقد تستعمل المادَّة في نصٍّ بمعنىً، وتستعمل في نصٍ آخر بمعنىً آخر.

ذلك أنَّ تحرِّي معنى الكلمة كما هي في كلام العرب، من دون إضافة معانٍ أخرى لا تدلُّ عليها الكلمة في استعمال العرب لها ما لم تكن الدلالة مستفادة من دالٍّ آخر في النصِ من شأنه أن يساعد - بتوفيق الله ﷻ - على فهم المعنى المُراد من النصِّ، وأن يكون تدبُّره أقرب إلى الصَّواب، وأكثر تذليلاً لمهمة إدراك ما يشتمل عليه النصُّ من دلالات[٣١]؛ إذ ((إنَّ اللفظ هو الأداة لإيصال المعنى إلى المخاطب؛ لذلك فإن التقصير في تحديد معنى اللفظ قد يُؤدِّي إلى وصول الرسالة - المعنى - إلى المخاطب بشكل مغلوط))[٣٢].

إنَّ الكلمة المفردة لتعدُّ بحقٍّ أساسَ اللغة وحجرَ الزاوية في بناء العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ لذا نجد جُلَّ العلماء قد قرَّروا - بعبارة صريحة، ومقالة دالَّة فصيحة - أنَّ العناية بها، وبيان أحكامها في اللغة قبل استعمالها في التركيب أمرٌ لا غنى للمفسِّر عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال.. كما لا يحتاج - إذا ما أتقن هذا الجانب - إلى المزيد من عناء الإفهام وجهد التعليم، ومن بين أولئك العلماء الأفذاذ الذين قرروا تلك الحقيقة الجلية والقاعدة السنية: أبو القاسم الراغب الأصفهاني رحمه الله؛ إذ يقول: ((إنَّ أول ما يحتاج

أن يشتغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة.. فتحصيلُ معاني مفردات القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه؛ كتحصيل اللَّبِن(٣٣) في كونه من أول المُعاوِن في بناء ما يريد أن يبنيه!! وليس نافعاً في علم القرآن فقط؛ بلْ هو نافع في كلِّ علمٍ من علوم الشرع.. فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب، وزبدته، وواسطته، وكرائمه... وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة!!))(٣٤).

ومنهم: أبو حيان الأندلسي رحمه الله؛ إذ يقول: ((ومن أحاط بمدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه؛ فلن يحتاج – في فهم ما تركَّب من تلك الألفاظ – إلى مفهم ولا مُعلِّم))(٣٥).

هذا، ((ويخطئ كثيراً من يتدبَّر آيات الله ﷻ من دون أن يرجع في كلِّ كلمة إلى دلالاتها الأصلية في كلام العرب، متتبِّعاً في معجمات اللغة، وفي نصوص من يستشهد بأقوالهم من العرب، وبعد البحث يختار من معاني الكلمة المعنى الذي يُلائمُ دلالة النصِّ القرآني بوجه عامّ.. وحين تدعو الضرورة إلى إخراج الكلمة عن معناها الأصلي إلى معانٍ استعيرت الكلمة للدلالة عليها؛ فليكنْ ذلك ضمن ضوابط الاستعمالات القرآنية السائرة على وفق المناهج العامَّة لكلام العرب واستعمالاتهم))(٣٦).

وبناءً على ما سبق بيانه؛ فإنَّ الجملة العربية بناءٌ كلاميٌّ يعتمد على أركان، لعلَّ من أهمها:

❖ **الأول/ مادَّة الكلمة**، وما تدلُّ عليه من معنىً بحسب الاستعمال العربي لها؛ إذ إنَّ ((اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهذا يحتم علينا التماس الدلالة اللغوية الأصلية للفظة القرآنية؛ فإنها ترفدنا بحسِّ العربية للمادَّة في مُختلف استعمالاتها الحسِّيَّة والمجازية))(٣٧)، ومرجعُ هذا معجماتُ اللغة، واستعمالات العرب في شعرهم ونثرهم.. مثال ذلك ما جاء في كتاب «**قواعد التدبر الأمثل – القاعدة التاسعة عشرة: حول تردُّد النص القرآني بين دلالتين أو أكثر**»، وفيما يلي نصُّه: ((بحثنا عن المعنى الأصلي اللغوي للمكر؛ فوجدنا أنه تدبيرُ أمرٍ في خفاء، ومعلومٌ بداهة أن ما يُدبَّر في

الخفاء لا يلزم أن يكون شراً؛ بل قد يكون خيراً.. ثمَّ اكتسب المكرُ في تصوُّرات العامَّة، أو في العُرف العامِّ بعد ذلك صورة قبيحة مستهجنة، تخصيصاً منهم للمكر في تدبير ما هو شرّ.

وسيطر هذا المعنى الجديد على أفكار بعض المفسِّرين؛ فوجدوا إشكالاً في نسبة المكر إلى الله ﷻ؛ فلجأوا إلى تأويل ذلك بأنه من باب المشاكلة، ولو أنهم أبعدوا عن تصوُّراتهم هذا المفهوم المستحدث، ورجعوا إلى أصل المعنى اللغوي؛ لظهر لهم أنَّ «**المكر**» الذي هو تدبيرُ أمرٍ في خفاء قد يكون مكراً في الخير، وقد يكون مكراً في الشرِّ، وجانبُ الخير منه لا ينافي الكمال؛ بلْ هو من عناصره.. إنَّ الحاكم العادل يمكر، ومكرُه لا يكون إلَّا في الخير، إنه يمكر بالمجرمين حتى تقبض عليهم يدُ العدالة.. والمسلم الملتزم بإسلامه يمكر، ومكره يكون في الخير وفي مرضاة الله ﷻ.. والله ﷻ يمكر، وهو خير الماكرين؛ ولذلك ذمَّ الله ﷻ في القرآن الكريم المكر السيِّئ، ولم يذمَّ مطلق المكر؛ فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾... اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ فَاطِر].

ولما كان الأمر كذلك؛ فقد وجب المصيرُ إلى المعنى الأصليّ اللغوي حتماً، ولا حاجة بنا إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالته اللغوية.. يضاف إلى ذلك أن هذا الإخراج يوقعنا في الإشكال، ويجعلنا في حاجة إلى التأويل.. إنه لغطٌ لا داعي له!!))[٣٨].

وأضاف الميداني: ((جاء في معنى الكيد لغة ما يلي: **الكيد**: الاحتيال والاجتهاد، **والكيد**: التدبير بباطلٍ أو حقّ، **والكيد**: الحرب، وتأتي كاد بمعنى: طلب وأراد.. وغير ذلك من معانٍ.. ونستطيع أن نقول: إنَّ هذه المعاني تدور حول اتخاذ أعمال وتدبيرات توقع الآخرين بما يكرهون، وبأدنى تأمل يتضح لنا أنَّ اتخاذ مثل هذه الأعمال قد يكون في الخير، وقد يكون في الشرِّ، وجانبُ الخير منه لا يكون منافياً للكمال؛ بلْ هو من عناصره!! فإذا شاع في تصوُّرات العامَّة، أو في العُرف العامِّ، أو كان أحدُ المعاني اللغوية تخصيص الكيد في الصورة القبيحة المُستهجنة التي لا تليق بكمال صفات الله ﷻ؛ فلا يصحُّ أن يسيطر هذا المعنى على مُتدبَّر ما نسب إلى الله ﷻ من الكيد حتى يلجأ إلى التأويل بالمشاكلة أو غير ذلك ما دام باستطاعته أن يجد في المعاني اللغوية

الأُصُول ما لا يتنافى مع كمال صفات الله ﷻ؛ بلْ هو ينطبق على ما نعلم بالنصوص القطعية الأخرى، وبالبراهين العقلية من صفات الله ﷻ.

وبناءً على هذا نقول: إنَّ الكافرين يكيدون في الشرِّ؛ لأنهم يعملون بمكايدهم لإدحاض الحق وإقامة الباطل في الأرض.. أما الله ﷻ؛ فإنه يكيد في الخير؛ لأنه لا يصلح عمل المفسدين؛ بلْ يردُّ كيد الكافرين إلى نحورهم، وينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه، ويُؤيّدِ أنصار الحق، ويأبى إلَّا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون والمشركون.. وينتهي الأمر بذلك من دون إشكال ولا تأويل، وتستقيم عملية التدبُّر لكلام الله ﷻ))[٣٩].

- **الثاني/ صيغة الكلمة** وما تدلُّ عليه من دلالات خاصَّة زائدة على المعنى العامِّ الذي تدلُّ عليه مادَّة الكلمة.. والدلالات الخاصَّة التي تدلُّ عليها صيغ الكلام العربي قد استفيدتْ من الاستعمال العربيِّ الغالب الذي دلَّ عليه الإحصاء.. والمرجع لمعرفة دلالات الصيغ علم الصَّرف «morphology»، وبعض قواعد علم النحو «syntax»؛ فلكي نلمح الدلالة القرآنية على الوجه الأمثل؛ لا بدَّ من لمحها بجمع كلِّ ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبُّر سياقاتها الخاصَّة في الآية والسورة، وسياقاتها العامَّة في القرآن كلِّه.

إنَّ كثيراً من المفردات اللغوية في اللغة العربية يحمل عدَّة دلالات حقيقية ومجازية؛ لذا كان لزاماً على المُتدبِّر لأيِّ نصٍّ قرآنيٍّ أن يبحث في معاني المفردات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً، ويتحقق ذلك من خلال الرجوع إلى طائفة من أُمَّات المُعجمات اللغوية، ووجب عليه النظرُ في مُختلف المواطن التي استعملت فيها الكلمة في القرآن الكريم؛ فمن شأن هذا النظر أن يكشف للمُتدبِّر الفطن الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآنيِّ: أتدور دلالتها حول المعنى اللغويِّ، أم حول المعنى في الاصطلاح الشرعيِّ القرآنيِّ؟!! ومع الحقيقة، أم مع المجاز، أم متنوِّعة؟!! إذ قد يهدي السَّبرُ للكلمات القرآنية في مُختلف مواطن استعمال الكلمة إلى استخراج دلالات خاصَّة بالقرآن الكريم من عُمُوم المعنى اللغويِّ، وتكون تلك الدلالات الخاصَّة بدورها نبراساً للمُتدبِّر يُضيءُ له طريق فهم النصّ؛ مثل كلمات: «**الهدى**»، و«**الضلال**»، و«**الرجس**»، و«**التقوى**»، و«**البر**»، و«**الإحسان**»، و«**الفقير**»، و«**المسكين**»، و«**الكفر**»،

و«**الفسوق**»، و«**العصيان**»، و«**النفاق**»، و«**الجزية**»، و«**الصلاة**»، و«**الزكاة**»، و«**الحج**»، و«**الصوم**»، و«**التوبة**»، و«**الإنابة**»، و«**الإخلاص**»، و«**الوضوء**»، و«**الغسل**»، و«**الجنابة**»، و«**الحيض**»... إلى غير ذلك من الكلمات(٤٠).

وبعبارة أُخرى: فإنَّ النظر في مُختلف المواطن التي استعملت فيها الكلمة في القرآن الكريم أمرٌ يقتضيه البحث العلمي السَّديد، ولا مندوحة للباحث عنه؛ إذ إنَّ من شأن تتبُّع استعمالات الكلمة في القرآن الكريم أن يكشف للمُتدبِّر الحصيف الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآني.. فقد يتوصَّل الباحث إلى أن المعنى الاصطلاحي في الشرع هو المعنى الأساسيُّ الذي تدور حوله الاستعمالاتُ القرآنية كلُّها، أو معظمها.. أو قد يتوصَّل إلى أنَّ المعنى اللغوي - أو بعض المعاني اللغوية - هو الأساس الذي تقوم عليه سائر المعاني الأُخرى.. وكلُّ ذلك من شأنه أن يُسديَ خدمة، وأن يقدِّم نفعاً للمُتدبِّر قد يهديه إلى فهم المعنى المُراد بتوفيق الله ﷻ.

ولا يكفي النظر الجزئيُّ لمعنى الكلمة عند تدبِّر آية من الآيات الكريمة.. فكم من الأخطاء في الفهم قد ارتكبت من قبل بعض المُتدبِّرين بسبب النظر الجزئيِّ الموضعي!! إنَّ معرفة وجوه دلالات الكلمة في الاستعمال القرآني ذو نفع عظيم، وهي واحدٌ من أهمِّ العناصر الأساسية لتدبُّر كتاب الله ﷻ.. فمن دون معاني الكلمات القرآنية الواردة في النصِّ الكريم الذي يُراد تدبُّره وفهم دلالته يتعذر الوصول إلى فهم صحيح متعمِّق لكامل النصّ!! ويبدو جلياً لنا ولأيِّ مُتدبِّرٍ سالكٍ للطريق الصحيحة أنَّ فهم المُراد من أيِّ نصٍّ كلامي يتوقف على معرفة دلالات الكلمات والمفردات الواردة فيه بأبعادها المُختلفة؛ لذلك وغيره يجدُرُ بأيِّ دارسٍ لأيِّ نصٍّ عربي - ولا سيما كتاب الله ﷻ- أن يكون خبيراً بدلالات الصِّيغ المُختلفة لمادَّة الكلمة العربية؛ لأنَّ الفهم الصحيح للنصِّ مرتبط بمعرفة ذلك(٤١)؛ ((فالكلمة التي يرجع بها إلى معناها اللغوي إنما يطلب مدلولها كما كان يتحدَّد داخل المنظومة اللغوية التي تنتمي إليها.. وبالتالي؛ فلا بدَّ أن تحمل في معناها اللغوي قليلاً أو كثيراً من خصائص رؤية أهلها للعالم، وكيفية مفصلتهم له، وطريقة تفكيرهم في ظواهره))(٤٢).

وبعد كلِّ ذلك يستقيم للمُتدبِّر الكُفء أن يقرِّر أو يُرجِّح اختياره للمعنى الحقيقيِّ أو المجازيِّ للكلمة في النصِّ الذي يتدبَّره.. ثمَّ ((إنَّ القارئ أو الدارس للنصِّ الشرعي لا بدَّ له بعد أن يدرك المعنى اللغويَّ للكلمات الواردة في النص على أساس ما كان مستعملاً لدى العرب أثناء نزول الوحي – من حيث نزل بلسان عربي مبين – وبعد أن يدرك الصيغة التى وردت عليها تلك الكلمات؛ لا بدَّ له أن يعرف موقع كلِّ كلمة في هذا النصِّ؛ من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية في الجملة المفيدة؛ كي لا يُنسب حدثٌ إلى من لم يقمْ به؛ فيختلف المعنى المُراد للشرع، وينحرف عن مساره، وإنَّ الذي يتكفَّل بهذه المعرفة هو علم النحو الذي يُحدِّد الموقع الإعرابيَّ لكلِّ كلمة من خلال قواعده واحتمالاته))[٤٣].

وفي هذا السِّياق، وبياناً لتلك الأبعاد نودُّ أن نسوق كلاماً للأستاذ الدكتور محمود توفيق أبدع فيه وأجاد وأفاد، وهو كما وصفه كاتبُه «**شذرات ذهب**»، جاء فيه: ((والكلمة القرآنية ذاتُ أبعادٍ عدَّة، كلُّ بُعدٍ منها رافدٌ من روافد الدلالة على معاني الهدى إلى الصراط المستقيم الذي جاء القرآن الكريم لتحقيقه: لها بُعدٌ صوتيٌّ تنغيمي، وبُعدُ هيأة وصيغة، وبُعدُ أصلٍ لغويٍّ تكوَّنت منه، وبُعدُ موقع وقعتْ فيه بدوائره المُتعدِّدة: دائرة الموقع في الجُملة، ودائرة الموقع في الآية، ودائرة الموقع في المعقد – الفاصلة – ودائرة الموقع في السورة، ودائرة الموقع في القرآن كلِّه.. هذه خمسُ داوئر متداخلة، كلُّ دائرة في داخل التي من بعدها، وأعمُّها جميعاً دائرة الموقع والسِّياق الكُلِّيِّ للقرآن الكريم.. هذه الأبعاد كلُّها ينحدر منها العطاءُ الدلاليُّ للكلمة القرآنية، وعلى قدر وعي المتلقي لهذه الأبعاد، والجمع بينها في تلقيه يكون اقتدارُه على أن يقترب من المعنى القرآني الكريم المجيد.

فالنظر في الكلمة القرآنية لن يكون في حقيقته – كما هو ظاهرُه – نظراً في مفردة؛ بلْ هو نظرٌ في كلمة نورانية ربانية قامتْ في بناء جملة، قامتْ في بناء آية، قامتْ في بناء معقد، قام في بناء سورة، قامتْ في بناء القرآن الكريم كلِّه، وكلُّ بناءٍ من هذه الأبنية المتصاعدة يأخذ من سابقه ويعود عليه بفيضٍ من عطائه، وهذا يجعل الناظر في المفردة القرآنية حالاً مرتحلاً، لا يحلُّ في دائرة من دوائر السِّياق إلَّا ليرتحل منها إلى أخرى يجمع

منها فيضاً من العطاء!! الأمرُ كما ترى جدٌّ جليل، لا يتهاون بحقه إلَّا غافلٌ عن منزلته العلية))[٤٤].

ومن جُملة الأُمور المهمة التي يجب على مُتدبِّر كتاب الله ﷻ مُراعاتها: اعتمادُ دلالات الكلمات القرآنية إبَّان نزول القرآن الكريم، لا على وفق ما تطوَّرتْ إليه الكلمة بعد ذلك في العصور الإسلامية، ولا على وفق المصطلحات التي تمَّتْ بعد عصر التنزيل؛ كمصطلحات المناطقة والفلاسفة والفقهاء وعلماء المناظرة والكلام!! وكم يقع بعض المُتدبّرين في الخطأ؛ لغفلتهم عن هذا الأمر الجلل، والجانب الأساسيُّ الخطير.. وفي هذا السِّياق ((يروي أحدُ الأدباء أنَّ ابنه الصَّبيَّ كان يسمع فقيهاً يقرأ من سورة يوسف: ﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ ﴿١٩﴾﴾؛ فدهش الصبيُّ، وسأل والده: وهل كانت هناك سياراتٌ في ذلك الحين يا أبي؟!!))[٤٥].

لذا؛ فقد أكد الأستاذ الميداني في **«قواعده»** على وجوب توخِّي الحيطة التامة والحذر البالغ من أنْ يتأثر المُتدبِّر لكلام الله ﷻ بمعنىً اصطلاحيٍّ متأخِّرٍ عن عصر التنزيل، اصطلح عليه الفقهاءُ، أو تواضع على استعماله الأصوليون، أو غيرهم من العلماء في مُختلف العلوم الإسلامية، أو أن يتأثر بمعنىً شاع في العُرف العامِّ بعد عصر التنزيل؛ فيفهم معنى الكلمة القرآنية على هذا الأساس؛ لأنه سيُعدُّ حينئذ أساساً مخطوءاً وغير صالح للفهم والتدبُّر!!

وشدَّد اللهجة مؤكداً على أن من يتأثر بمثل هذا سيُخرج الكلمة القرآنية – لا محالة – عن دلالتها الأصلية التي وُضعتْ لها وأُريد لها تأديتها، وسينحرف بها ويشطُّ عن مقصود التنزيل الحكيم؛ وبالنتيجة سينجم عن ذلك كلِّه الانحرافُ في الفهم عن المعنى المُراد[٤٦].. يقول في قاعدته النفيسة الرابعة من قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ – حول بيئة نزول النصِّ البشرية، والزمانية، والمكانية، والنفسية، والفكرية، الفردية والاجتماعية: ((على مُتدبِّر كتاب الله ﷻ أن يضع في اعتباره لدى تدبُّر نصٍّ منه ملاحظة الأمور الآتية:

- ❖ **الأول:** تصوُّر العصر الإسلامي الأول، وواقع حال الذين كانت تتنزل عليهم الآياتُ القرآنية لتعليمهم وتوجيههم وتربيتهم.. ويدخل في هذا بيئتهم العامَّة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم بوجهٍ عامّ.
- ❖ **الثاني:** تصوُّر الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول الآيات الموضوعة للدراسة، وذلك بشكل خاصّ.
- ❖ **الثالث:** تصوُّر الظرفين الزماني والمكاني اللذين أنزلتْ فيهما الآياتُ الموضوعة للتدبُّر والدراسة.

إنَّ تصوُّر العصر الإسلامي الأول، وتصوُّر حال الذين كانت تتنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم وتوجيههم وتربيتهم، وتصوُّر بيئتهم العامَّة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم.. من الأمور التي تقدِّم نفعاً جليلاً للمُتدبِّر؛ إذ تُبصِّره بالمناخ الذي نزل فيه النصُّ، وهذا يهديه إلى مفاهيم هي أقرب إلى دلالة النصِ من غيرها؛ فكثيراً ما يقع الباحث عن معنى نصٍ في الخطأ؛ لأنه فهم النصَّ وهو يضع في اعتباره واقع حال المجتمع الذي يعيش فيه، والبيئة المحيطة به، لا واقع حال البيئة والمجتمع الذي نزل النصُّ لمعالجته بالتعليم والتوجيه والتربية))[٤٧].

كما أكد على ضرورة إلمام الباحث المُتدبِّر في المعنى المُراد من الكلمة في النصِ القرآني الحكيم بالمفاهيم الإسلامية المتعلقة بالموضوع الذي يشتمل عليه النصُّ، وأن يكون جامعاً لمفاهيم الشريعة الإسلامية بوجهٍ عامّ؛ ليكون آنئذٍ بمأمن من أن يتبادر إلى ذهنه، أو أن يبدو على حُكمه مفهومٌ خطأ وهو يحسب أنه يحسن فهماً واستنباطاً.. فلربَّما التزم دارسُ النصِ القرآني ومُتدبِّرُهُ مفهوماً خطأً أخذه من دلالته الظاهرة، أو من بعض معاني كلماته.. ولو أنه رجع إلى مفاهيم الشريعة الإسلامية بوجهٍ عامّ؛ لتبين له – بما لا ينتابه شكٌّ أو يعتريه لبسٌ أو غموضٌ- فساد ما ذهب إليه وآمن به من تفسير المعنى المُراد من كلمات النصِ الذي يتدبَّره، ولكان له رأيٌ آخر ربما يكون مخالفاً أو مُناقضاً لرأيه الأوَّل[٤٨]!!

المبحث الثالث

ملامح وسمات أخرى لا بد منها لتمام الفهم

ثمَّ يأتي بعد ذلك التبصُّر الدقيق بمعنى النصِّ القرآني بشكلٍ عامّ.. مع ملاحظة سياقه في السورة، وما تجتمع عليه دلالاتُ آياتها ضمن وحدة موضوعها؛ ليأتي بعد كلِّ ما سبق اتجاه المُتدبِّر الكُفء لاختيار المعنى المُراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النصِّ.

فـ((إذا تردَّد النصُّ القرآنيُّ بين دلالتين أو أكثر؛ كدلالة أصلية لغوية، ودلالة عربية شائعة في العُرف العامِّ، أو دلالة عُرفية شائعة في الاستعمالات القرآنية وبيانات الرسول ﷺ، أو دلالة هي من قبيل التوسع في المفهوم؛ كالانتقال من الحسِّيَّات إلى المعنويات أو المُجرَّدات، ومن المعاني الحادثة إلى المعاني الأزلية، أو دلالة مجازية ممَّا استعمله العرب.. فالدلالة التي ينبغي المصيرُ إليها واعتمادها في فهم معنى النصِّ هي التي تطابق الواقع، أو تؤيِّدها البراهين العقلية، أو التي لا إشكال فيها؛ فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف غيرها، أو التي تنسجم مع سوابق النصِّ ولواحقه، أو التي تتفق مع المفاهيم القرآنية والأصول الإسلامية الثابتة بيقين.

أما إذا تكافأت الدلالات؛ فالدلالة الأصلية اللغوية هي المُرجَّحة، وتبقى الدلالات الأخرى احتمالاتٍ مرجوحة حتى يأتي من الأدلة ما يرفع قيمتها إلى التساوي أو الرُّجْحان، أو الاعتماد بصفة جازمة.. وعند الحاجة إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالته؛ يُصارُ إلى أقرب المعاني اللصيقة بالمعنى الأصلي، وإذا أمكن أن يكون هذا المعنى ممَّا عمَّتْ به الدلالة حتى غدا حقيقة في العُرف؛ فهو الأولى والأحقُّ بالفهم))(٤٩).

وعلى الباحث أيضاً أن يرجع – في موضوع النصِّ الذي يدرسه ويتدبَّره – إلى جميع ما جاء في القرآن الكريم حوله من آيات أُخر، وما جاء من أقوال الرسول ﷺ الثابتة عنه؛ فمن شأن هذا الرجوع أن يهدي الباحث المُتدبِّر إلى الفهم الأدنى إلى الحقِّ والصَّواب؛ ولا سيَّما إذا ما أدرك أنَّ واحداً من أهم الجوانب العامَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: ((تداخلُ معانيه وموضوعاته بحيث ترتبط في بناء متكامل متناسق يتعذر

الإتيانُ بمثله))[٥٠]؛ وما عليه – بعد ذلك – سوى انتقاء المعنى المُلائم من بين جُملة المعاني التي خرجتْ إليها الكلمة القرآنية الواردة في النصّ موضع التدبُّر[٥١]!!

وبذا استبانت لنا ضرورة ملاحظة المُتدبِّر الحصيف لكتاب الله ﷻ لمسألة ارتباط معنى الكلمة أو الجملة القرآنية بما تفرَّق في القرآن الكريم من معانٍ تجتمع معه في موضوع واحد، وتتصل بمعاني الآية التي هي منها، والسورة التي هي فيها.. وهذا يتطلَّب من المُتدبِّر للنصِّ القرآني تتبُّع ما في القرآن المجيد من نصوص ذات دلالات تشترك – ولو بوجهٍ واحد من الوُجُوه – مع المعنى الذي يبحث عنه في موضوع واحد؛ ليكتشف موقع هذا المعنى من جملة الموضوع؛ فلا محيص له عن تتبُّع كلِّ النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد، وتدبُّرها معاً، ملاحظاً تكامل دلالاتها، ومستبعداً – ما أمكن – تصوُّرات التكرار؛ فالأصل التأسيس لا التأكيد[٥٢]!!

ولا يتسنى له ذلك إلّا من خلال جمع النصوص القرآنية وحشدها من مُختلف سُور القرآن الكريم، المتعلقة بالأفكار والمعاني التي اشتملت عليها الآية الموضوعة للتدبُّر، والتأمُّل فيها مُجتمعة مُتكاملة، لا مُجزَّأة مُتناثرة؛ وذلك لأنَّ ((كلَّ معنىً جزئيٍّ مُستفاد من جُملة قرآنية له ارتباط بما تفرَّق في القرآن من معانٍ تلتقي معه في موضوع واحد، وله ارتباط آخر وثيق بمعاني الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية.. كما إنَّ الآية ذاتُ ارتباط وثيق بوحدة موضوع السورة... فإمَّا أن يكتشف أنَّ هذا المعنى الجزئيَّ يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع؛ حتى يتكون منه ومن سائر المعاني الموزعة في القرآن حول ذلك الموضوع موضوعٌ تامٌّ كامل العناصر.. وإمَّا أن يكتشف أنه معنىً مكرَّر؛ إلّا أنَّ المناسبة استدعتْ تكريره في موضوع السورة؛ لأنه ذو ارتباط بجانب من جوانبه بالمعاني الأخرى التي دلَّتْ عليها الآية، أو بمعانٍ أخرى جاءت في السورة، أو بوحدة موضوع السورة، مع ملاحظة أنَّ الغرض التربوي أو التعليمي اقتضى إيراده في الموضوع الذي تعالجه الآية، أو تعالجه السورة.. وعلى المُتدبِّر أن يبحث ويتأمل حتى يكتشف المناسبة، أو الغرض التعليميَّ أو التربويَّ ضمن المنهج التعليميّ القرآنيّ العامّ))[٥٣].

كما لا محيص له عن ملاحظة ارتباط معنى الجُملة القرآنية بمعاني سائر الجُمل في الآية والسورة، وذلك يتطلَّب من المُتدبِّر البحث عن النسق الكاشف عن التلاحُم أو

التناسب بين معاني جمل الآية القرآنية الكريمة ووحدة موضوع السُّورة.. ((إنَّ مثل الجُمل القرآنية وما تحمل من معانٍ ودلالات كمثل حبات نفيسات الجوهر، نظمتْ في عقد متكامل تمثله السورة القرآنية، أو نضدتْ في قطعة نادرة مصوغة أبدع صياغة من قطع الحلي، مع التناسق التام والبديع.. ويلاحظ أنَّ حبات العقد أو جواهر قطعة الحلي ليس من الضروريّ أن تكون كلُّها من صنف واحد كاللؤلؤ مثلاً؛ إلَّا أنَّ الناظم أو المُنضِّد لها قد جعل لها منطلقاً واحداً، أو مركزاً ترجع إليه، والتوزيع في الحبات أو الجواهر النفيسة توزيعٌ فنيٌّ بديع، والسلك الناظم لها أو الأرضية الجامعة لها أمرٌ يدرك بالفكر الثاقب، وقد لا يلاحظ في اللفظ ما يدلُّ عليه؛ وذلك كما ندرك التناسق والترابط في الأشكال الهندسية التي تنضد على وفقها مجموعة من أنفس الحجارة الكريمة في قطعة من الحلي نادرة الصياغة، بديعة التنضيد.

ويدلُّ على التناسق والترابط والأشكال الهندسية: النظام المحكم، والألوان، والطيوف، والشكل الهندسي لكلِّ قطعة، والأشعة الضوئية التي تبثها الحجارة الكريمة، والتوزيع المتناسق بشكلٍ عامٍ؛ ولو كان بعضُ الحجارة مفرداً لم يتكرَّر من جنسه حجرٌ آخر؛ ولو لم يظهر من الأرضية الحاملة لها شيء؛ حتى ولو كانت موزعة في فضاء، أو فيما لا لون له.. إنَّ هذه كلَّها لتوحي بالترابط التامّ.. وعلى المُتدبِّر العميق التفكير أن يكتشف، ويُحلِّل، ويُبرز عناصر الترابط، ويضع أسهم التناسق والترابط بين هذه النفائس الموزعة أبدع توزيع!!

وكما نكتشف أشكالاً هندسية لا تحصى لمقطع من النجوم في رُقعة من السَّماء؛ كذلك خطوط الترابط التي يستطيع المُتدبِّر العميق التفكير أن يلاحظها ذهناً بين الجمل القرآنية داخل كلِّ آية وكلِّ سورة من سور القرآن الكريم.. وإهمالُ تدبُّر هذا الأمر العظيم، وعدم وضعه موضع العناية التامة والملاحظة المستمرة يُفوِّت على المُتدبِّر لكلام الله ﷻ خيراً كثيراً، ومعاني جمَّة، ويُخفي عنه وُجُوه إعجازٍ جليلة، وقد يجنح به عن فهم المُراد من الجملة أو الآية التي يتدبَّرها!!))(٥٤).

هذا، ((وقد يكون للجملة القرآنية التي تحمل معنىً عامَّاً أو خاصَّاً عددٌ من الارتباطات من عدَّة جوانب منها بعددٍ من الجمل القرآنية في السورة، وبعددٍ آخر من

الجمل التي تشترك معها في موضوع عامٍ عبر القرآن المجيد كلِّه.. فمن قواعد التدبُّر الأمثل: تدبُّر هذه الارتباطات المُختلفة؛ سواءٌ أظَهَرَ فيها الرَّابط، أو لم يظهرْ... إنَّ التزام هذه القاعدة من قواعد التدبُّر لكتاب الله ﷻ يُقدِّم للمُتدبِّر نفعاً عظيماً ومفاهيم جليلة))(٥٥).

وبناءً على ما سبق؛ ((فالأصل تكامل النصوص القرآنية الواردة حول موضوع واحد... والذين لا يفهمون مبدأ تكامل النصوص القرآنية، ولا يجعلونه من القواعد الأساسية لما يتدبِّرون من كتاب الله ﷻ؛ يقعون في عدَّة أخطاء؛ منها: أنهم لا ينتبهون إلى المعنى المضاف الذي اشتمل عليه النصُّ الثاني.. ومنها: أنهم يُفرِّقون بين آيات الله ﷻ في كتابه؛ فيفهمونها أشتاتاً، ولا يتدبَّرونها على أساس أنها وحدة مجتمعة، وأن كلاً منها يملأ فراغاً من الموضوع العامِ لا يزاحم فيه غيره.. ومنها: أنهم قد يطبقون بعضها على بعض؛ فيجعلونها مكرَّرات، ويُلغون – بذلك – الدلالات الخاصَّة التي انفرد بها كلُّ نصّ!! والذي يُوقعهم في هذا الوهم أنَّ إضافة الفكرة الجديدة في النصِّ الثاني، أو الثالث قد استدعتْ إعادة أصل الموضوع.. فهم يغفلون عن الفكرة المضافة؛ فيتصوَّرون أنَّ النصَّ كلَّه تكريرٌ لما سبقه لغرض التأكيد!! وقد يُعلِّلون ذلك بأغراض تربوية، على أنَّ التأكيد والأهداف التربوية أمور باقية لا تلغى مع فهم الفكرة المضافة في النصّ الجديد.. وهكذا يفعل المُعلِّم البارع كلما أراد أن يضيف فكرة لدرسٍ سابق))(٥٦).

وذلك يحتم على من يُقدِم على التعامل مع آي الذكر الحكيم فهماً، أو إفهاماً ((أن يجمع المعاني الجزئية الصحيحة التي تنسجم مع دلالة النصّ بسوابقه ولواحقه، وبدلالة نصوص أخرى موزعة في القرآن، تتمِّم معنى النصِّ الموضوع للتدبُّر، ويُؤلِّف منها معنىً جامعاً كلياً، ويفهم النصَّ الذي يتدبَّره بمقتضى ذلك... فالفهم السَّديد والتدبُّر الصَّحيح للنصوص القرآنية يُوجبان على المُتدبِّر لكتاب الله ﷻ أن يجمع كلَّ النصوص المُتعلِّقة بموضوع واحد، ويتدبَّرها مجتمعة، مالئة أمكنتها من الموضوع؛ كي لا يطغى بعضها على بعض، ولا يتجاوز حدود مكانه الخاصّ به؛ فيأخذ مكان غيره!!))(٥٧).

كما يوجب عليه، ولا يعفيه البتة من أن يكون شديد الحيطة والحذر من اقتطاع النصوص والجمل القرآنية عن سوابقها ولواحقها؛ حتى يتأكَّد تماماً من أنَّ مجموعة الآيات التي اقتطعها لا تكوِّن مع غيرها وحدة متماسكة؛ فيؤثر الاقتطاع في فهم دلالاتها، وقد

يُغيِّر المعنى المُراد الذي يدلُّ عليه النصُّ مُجتمعاً غيرَ مُفرَّق؛ إذ كثيراً ما يُلاحظ في النصوص القرآنية ارتباطُ مجموعة من الآيات في موضوع جزئيٍّ من السورة، واقتطاعُ بعضٍ منها وفهمُه على أنه نصٌّ منفصل قد يجنح بالمُتدبِّر عن فهم المعنى المُراد!! فالواجب عليه أن ينظر إليها مجتمعة؛ ليفهم دلالاتِ النصّ وترابط معانيه، وأن لا يقتطع آية أو فقرة من آية، ويفهمها فهماً منفصلاً؛ فمن شأن هذا الاقتطاع أن يُوهم غيرَ المُراد، أو يوقع في الخطأ، أو يضعف من كمال دلالات النصّ.. وممَّا يحصل به إيهامُ معنىً غير مُرادٍ لدى اقتطاع النصِّ: أن يكون النصُّ المقتطع يشتمل على تعميمٍ أو تخصيصٍ غير مقصود(٥٨)!!

كما يساعده هذا النمط من السبر المُعمَّق للنصوص القرآنية، والتتبُّع الفاحص لمظانها ومواطنها، والتدبُّر الحصيف لمراميها أيَّ مساعدة على وضع خريطة دالَّة وهادية له أثناء سيره في أفنان الموضوع الذي تكفلت تلك النصوص بعلاجه، ويُعينه على تجميعها تجميعاً حكيماً منطقياً متكاملاً متناسقاً، وتحديد أبعادها ومفاهيمها تحديداً تبقى معه دلالة كلِّ نصٍّ منها دلالة صحيحة وسليمة، واستقرائها على قدر الاستطاعة.. وبالتالي الحيلولة دون إلغاء أيِّ معنىً لآية هو مُراد دواماً كلَّما جاء مورده؛ ذلك أنَّ النصوص القرآنية متكاملة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن الحكيم.

هذا، وإنَّ كلَّ نصٍّ من النصوص الواردة حول موضوع واحد يشتمل على ما يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع، ويمتاز ببيان فكرة إذا انضمَّتْ مع سائر الأفكار التي أبانتها سائر النصوص؛ تكامل بيانُ الموضوع بكلِّ عناصره، ومن كلِّ جوانبه، وإنه لا توجد أية فجوات مهملة في أيِّ موضوع قرآني؛ ولكن قد لا يهتدي المُتدبِّر إلى ملء الفجوة التي يلاحظها بدلالة نصٍّ من النصوص القرآنية المُوزَّعة في السُّور؛ إما لأنه لم يتنبه إلى النصِّ، وإما لأنه لم يتنبه إلى دلالته الظاهرة أو الخفية!! فالعيبُ في نقص التدبُّر أو في قصوره.. أما كتاب الله ﷻ؛ فلا نقصَ فيه، ولا قصورَ، ولا تفريط بشيءٍ ممَّا هو مقصودُ الرِّسالة الرَّبَّانية للناس أجمعين(٥٩).

المبحث الرابع

صفوة القول في هذا الباب

يُفهم ممَّا تقدَّم عرضُهُ وبيانه أنَّ معرفة أحكام اللغة العربية على المستويين اللفظيِّ الإفراديِّ، والتركيبيِّ الجُمَليِّ شرطٌ في فهم القرآن الكريم، ومعرفة دلالات ألفاظه وتراكيبه؛ لأنَّ من رام تدبُّره أو تطلَّع إلى تفسيره وهو لا يعرف مسارب اللغة التي نزل بها وسُبُلها؛ كان كساع إلى الهيجاء بغير سلاح!! وإنه آنئذ - وبلا شك - سيقع في الزلل، ويتردَّى في مهاوي الضلال، وسيُحرِّف الكلم عن مواضعه؛ كما حصل مع بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن المجيد مصطلحات أو مدلولات غير عربية ولا مُرادة من النصوص الحكيمة!!

ومع ما سبق ذكرُه من أقوال العلماء في أهمية معرفة أحكام اللغة في إحكام تفسير القرآن المجيد؛ لا بدَّ لنا من معرفة أن اللغة بمُجرَّدها لا تستقلُّ بتلك المعرفة.. وهذا يعني أنَّ اللغة ليست المصدرَ الوحيد الذي يمكن لمن أحكمه أن يفسِّر آيَ القرآن المجيد؛ إذ لا بدَّ للمُفسِّر من استكمال أدوات، والإلمام بمصادر أخرى يعتمد عليها في تفسيره؛ كالسنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، وأحوال من نزل فيهم الخطاب، وتفسيرات الصحابة والتابعين وتابعيهم ﭫ، وغيرها من المصادر التي لا يمكن استقاؤها عن طريق اللغة.. وبهذا يعلم أنَّ التفسير اللغويَّ جزءٌ من علم التفسير فسيح الأرجاء.. ومع أنَّ حيِّزه كبير، والحاجة إليه ماسة؛ فإنه لا يمكن له بحال أن يستقلَّ لوحده ويضطلع بتفسير القرآن الكريم(٦٠).

وهذا كلُّه يفيد بأنَّ اعتماد اللغة بمفردها من دون النظر في غيرها من المصادر سيوقع مُعتمِدَها حتماً في الخطأ والزلل في التفسير؛ إذ قد يكون المدلول اللغويُّ غيرَ مُرادٍ في الآية؛ كقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ]، فلو فسِّرت الصلاة بالمدلول اللغوي؛ لقلت: نهي الرسول ﷺ عن الدعاء لهم!! وقد يوقع في التضارب الظاهريِّ بين النصوص الشرعية، ومن ذلك: النصُّ الإلهيُّ الآمِر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟

﴿عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].. يُقابلُه النصُّ النبويُّ الناهي: ((لا تصلُّوا على النبي))[٦١]!!

فلو ذهبنا نتفهَّم النصَّ ونتدبَّره بعيداً عن اللغة وأحكامها ومدلولاتها؛ لوقعنا في الخطأ والتضارب والإرباك وسوء الفهم.. وما أن نستفتي اللغة ومعجماتها حول بعض دلالات لفظ «**النبي**»؛ حتى تبادرنا بالإجابة بأنَّ من معانيه فيها أنه مأخوذ من النبوة؛ وهي ما ارتفع من الأرض واحدودب؛ فيكون معنى الحديث: لا تصلُّوا على الأرض المرتفعة المحدودبة؛ فالمعنى هنا – كما بدا لنا جلياً – لغويٌّ بحت!! في حين إنَّ المعنى في الآية الكريمة – كما لا يخفى على الجميع خفاء المعنى في الحديث – اصطلاحيٌّ وشرعي مشتقٌّ من اللغة ومنحدر منها.

ولما كان الأمر كذلك؛ كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقها في معرفة كلام الله ﷻ، وكان من أهمِّ ما فيها – وهو من بدايات علم التفسير– معرفة دلالات الكلام – أي: معاني الألفاظ – التي يدور عليها كثير من علم التفسير؛ ليعرف المُراد بالخطاب.. وهذا ممَّا لا يسعُ الجهلُ به لمن أراد التصدُّر لعلم التفسير وبيان معنى كلام الله الحكيم الخبير أو تدبُّره وتفهُّمه؛ إذ بات لزاماً عليه أن يعرف مدلولات الألفاظ، وأن يستشرح معانيها من مصادرها المعتمدة.

و((لمَّا كانت اللغة هي المادَّة التي يستمدُّ منها فهم كتاب الله وتفسير آياته؛ فقد أقبل عليها المفسِّرون، وكانت موضع اهتمامهم منذ عصر الصحابة ﵃))[٦٢]، وممَّا يؤكِّد أهميتها، وكونها مصدراً أساسياً في فهم القرآن: عدمُ جواز فهمه بمعانٍ جديدة لم تكن موجودة في عصر التنزيل؛ وإنما حدثتْ بعد ذلك[٦٣].

إنَّ التفسير اللغوي يُشكِّل لبنة متماسكة، وركناً حيوياً، وجزءاً مهماً من ميدان علم التفسير الرحب، وهو من أكبر مصادر التفسير وأجلِّها؛ لذا لا يمكن أن يخلو منه كتابٌ في التفسير البتة إلَّا أن يكون من المصنفات المنحرفة التي لا تعتمد لغة العرب في بيان معاني القرآن الكريم؛ كتفاسير الباطنية، والفلاسفة، وغيرها.. وهذا ظاهرٌ لمن يقرأ مُدوَّنات هذا العلم وأسفاره المُختلفة؛ كتفاسير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وابن كثير، والشوكاني، وابن عاشور... الخ[٦٤]، ((وإذا تأمَّلْتَ

تفسيرَ القرآن المجيد في الآثار المنقولة عن الصحابة، أو التابعين، أو أتباعهم ﷺ، وفرزتَ كلَّ نوع من هذه الآثار المنقولة؛ فإنك ستجد ما كان مرجعه اللغة له الحظُّ الأوفر، والنصيب الأكثر؛ بل ستجد أن تعدد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب كان سبباً في اختلاف المفسرين، فمنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنىً، ومنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنىً آخر، وكلاهما كان معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثمَّ صحَّة حَمْل هذا اللفظ على الآية))(٦٥)؛ فاللغة العربية هي لغة القرآن، والقرآن نزل بها؛ لذا فكلٌّ منهما يُكمِّل الآخر ويكتمل به، ولا غنى، ولا انفصال لأحدهما عن الآخر بأيِّ حالٍ من الأحوال.

إذا ألممنا بذلك كلِّه معرفة وأحطنا به علماً؛ كان لا بدَّ لنا أيضاً من التمييز بين أمرين: بين «**تفسير الألفاظ**»، و«**بيان المعاني**».. فالتفسير يُرادُ به: تفسير الألفاظ من حيث هي ألفاظ، والمعاني يُراد بها: دلالة الجملة بألفاظها على المعنى، أو بيان دلالة اللفظ مع الألفاظ الأخرى التي كوَّنت جملة وشكَّلت معنىً.. والعلماء الآن يقولون: نحن نفرِّق بين أمرين: بين تفسير اللفظ، وبين المُراد من اللفظ؛ فمثلاً قوله ﷻ: ﴿**وَٱلضُّحَىٰ**﴾، هناك من يقول: «**الضحى**»: ساعة من ساعات النهار.. فإذا قلت: فما المُراد من قوله ﷻ: ﴿**وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢**﴾ [سُورَةُ الضُّحَىٰ]؟!! يقول: المُراد هنا: قسمٌ أراد الله ﷻ به تعظيم هذا المخلوق الذي خلقه – وهو وقت الضحى – ولفت الأنظار إليه... الخ.. وهذا يُسمُّونه: بيان المُراد من اللفظ.

فتفسيرُ اللفظ شيءٌ، وبيان المُراد منه شيء آخر؛ إذ إنَّ تفسير اللفظ هو بيان معناه من جهة اللغة، والمُراد من اللفظ هو تبيين معناه داخل السِّياق الذي ورد فيه؛ لذا فإنَّ أهل العلم يقولون: «**تفسير غريب القرآن**»، ويعنون به الألفاظ.. فإن فسَّروها بحسب الدلالة اللغوية من دون مُراعاة المعنى الشرعي؛ فهذا تفسير لغوي لا ينبغي اعتمادُه والمصيرُ إليه مُجرَّداً في تفسير القرآن؛ لأنه ليس المعنى الوحيد المُحتمل للَّفظ؛ بلْ يوجد هناك في كلِّ لفظ يردُ في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أربعُ احتمالات من حيث المعنى، وتتنوَّع إرادته وتدور بينها: فإما أن يكون لهذا اللفظ معنىً شرعي(٦٦)، وإما أن يكون له

معنىً عُرفي(٦٧)، وإما أن يكون له معنىً لغوي.. فإنْ لم يُوجدْ أيٌّ من تلك المعاني الثلاثة؛ نُظِرَ فيه بحسب الحقيقة أو المجاز.

فإذا فُسِّر اللفظ من حيث اللغة قبل النظر في احتمال وُجُود معنىً شرعيٍّ أو عُرفيٍّ له مُرادٍ في ذلك الموضع؛ عُدَّ ذلك هجوماً وتجنياً على تفسير هذا النص الشرعي أو ذاك ممَّا ورد فيه لفظٌ كهذا؛ ذلك أنه ليس كلُّ معنىً صح لغة؛ صحَّ تفسيراً؛ فينبغي - بلْ يتحتم - على من أقدم على تفسير غريب القرآن أن يُفسِّره بحسب المُراد منه؛ فإنْ كان ذلك المُراد في هذا الموضع شرعياً؛ أورده، وإن كان عُرفياً؛ أثبته، وإن كان لغوياً؛ اعتمده.. وإلا انتقل عنها جميعاً إلى بيانه بحسب ما تهدي إليه قواعد الحقيقة، أو أساليب المجاز.

وقد سبق لنا ضربُ الأمثلة البينة على ما نحن بصدد دراسته الآن؛ كلفظ «**الصلاة**» ودلالته على تلك الفريضة المعروفة والركن الثاني من أركان الإسلام، وعلى الصلاة على رسول الله ﷺ؛ بمعنى التعظيم والتوقير والدُّعاء بأرفع الدرجات، وعلى معنى الدُّعاء.. وكذا الحال بالنسبة للفظ «**النبي**» فيمن أُوحي إليه بشرعٍ وأُمر بتبليغه، وفي النبوة؛ وهي الأرض المرتفعة المحدودبة.

فإنْ نحن ألفينا من يُفسِّر القرآن بحسب الدلالة اللغوية، ولم يُلزم نفسه إلَّا بالتفسير اللغوي؛ فإنه سيُفسِّر كلَّ المواضع التي وردت فيها لفظة كـ«**الصلاة**» بمعنىً واحد؛ وهو الدُّعاء، وهذا خطأ فادح؛ إذ ليس كلُّ ما صحَّ لغة؛ صحَّ تفسيراً(٦٨).

فإنْ قيل: سبق لكما في غير ما موضعٍ من بحثكما هذا أن قرَّرتما أنَّ القرآن الكريم قد نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، فلماذا كان تفسيره وبيانه بمُجرَّد اللغة خطأً؟!! قلنا: لا بدَّ من ملاحظة خصوصية اللفظ الشرعي - القرآني والنبوي - فكم من لفظٍ جاء تفسيرُه وبيان معناه في لسان الشرع، وهو أدرى بمُراده!! وكم من لفظٍ يجري على معنىً في عُرف الصحابة ﷺ غيره في عُرف اللغة!! فالهجومُ والإقدامُ على تفسير اللفظ الوارد في النص الشرعي بمُجرَّد المعنى اللغوي يُلغي المعهود الشرعي، أو العُرفي للفظ الذي هذا سبيلُه!!

وبعبارة أُخرى: فإنَّ ممَّا ينتج عن الهُجُوم على تفسير الألفاظ الشرعية بمُجرَّد المعنى اللغوي من دون البحث عن الحقيقة الشرعية والعُرفية: إهمال المُرادات، وضياع

المعاني الشرعية في تفسير اللفظ؛ ممَّا يُشيع تفسيرَهَا بغير ما وُضعتْ له شرعاً بين أوساط المُتلقِّين لها، ويُمهِّد بالتدريج لتسويغ بعض البدع التي يبرأ منها الدِّينُ[٦٩]!!

فليس كلُّ ما جاز لغة؛ جاز تفسيراً.. وهناك قومٌ من المُفسِّرين ممَّن استند في تفسيره على الاستدلال، وراح يُفسِّر الآيات والأحاديث بحسب ما تمليه عليه قواعد اللغة؛ فنتج عن ذلك إهمالٌ صريح وإقصاءٌ واضح للمُرادات الشرعية والعُرفية؛ فأضاعوا الحقائق الشرعية والحقائق العُرفية للألفاظ؛ وتمخض عنه تفسيرُ قرآنٍ ليس هو التفسير الذي أراده الله ﷻ!! وهذا من أكبر الأخطاء المقترفة في الكتب الصغيرة التي تسمَّى: «**كلمات القرآن**» وأفدحها؛ فإنَّ أغلب من صنف فيها فسَّر كلمات القرآن من حيث اللغة، وأهمل ما اكتنفها من المناسبات والقرائن والجوانب المهمة الأخرى.. فضلاً عن احتمال وُرود أكثر من معنىً واحد مُراد للَّفظة القرآنية في النص، وليس بوُسع صاحب «**كلمات القرآن**» سوى إيراد معنىً واحد من بينها، وقد يكون هذا المعنى الواحد بعضَ المُراد لا كلَّه، وهذا قصور!! فيُعدُّ المُفسِّر لتلك الكلمات بذلك مُتحكِّماً بما ليس له التحكُّم فيه، متجنياً على المعنى الكريم؛ إذ لا يعدُّ المعنى القاموسيُّ أو المعنى المعجميُّ كلَّ شيء في إدراك معنى الكلام وفقهه والإلمام به[٧٠]؛ فثمَّة عناصر أُخرى غير لغوية ذاتُ دخلٍ كبير في تحديد المعنى، بلْ هي جزءٌ من معنى الكلام؛ كشخصية المتكلِّم، وشخصية المخاطب، وما ينعقد بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من مُلابسات وظروف[٧١]؛ إذ ((ليست اللغة مفرداتٍ في معاجم، ولا جُملاً منعزلة منفصلة تدوَّن في الصُّحُف))[٧٢]!!

زِدْ على ذلك أنَّ السِّياق اللفظيَّ العامَّ للنصِّ الكريم يشترط على المُفسِّر استحضار جميع النصِّ القرآني حتى في حال تفسير بعضه، ولا يحقُّ له بحال اقتطاعُه، أو بترُه، أو الاكتفاء بجزءٍ منه!! فلا وُجُود للنصِّ المنعزل أو المقتطع للأساليب في اللغة والقرآن؛ بلْ إنَّ طبيعة النصوص - كيما تفهم على الوجه الصحيح - تقتضي التلاقح والتداخل والتشابك[٧٣].. وقد صرَّح ابنُ حزم رحمه الله من قبل، وأكَّد أهلُ علم اللغة والتفسير من بعد بأنَّ القرآن والحديث كلَّه لفظة واحدة؛ فلا يحكم بآية دون أُخرى، ولا بحديث دون آخر؛ بلْ يضم كلُّ ذلك بعضه الى بعض؛ إذ ليس بعض ذلك أولى بالاتباع من بعض، ومن فعل غير هذا؛ فقد تحكَّم بلا دليل[٧٤]!!

وفي هذا السِّياق يقول ابن جني رحمه الله في «**باب التفسير على المعنى دون اللفظ**»: ((اعلمْ أنَّ هذا موضعٌ قد أتعب كثيراً من الناس، واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذلوا به[٧٥] وتتايعوا فيه[٧٦]؛ حتى إنَّ أكثر ما ترى من هذه الآراء المُختلفة والأقوال المُستشنعة إنما دعا إليها القائلين بها تعلُّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرِّ معانيها ومعاقد أغراضها!!))[٧٧].

وقد تنعكس الآية تماماً؛ فنلفي المفسِّر وقد أولى بالغ اهتمامه وأفرغ نفيس جهده ببيان المعاني، وأهمل الألفاظ التي تعدُّ المنهل العذب، والمعين الرقراق، والمعدن الأصيل، والأُسَّ المتين، والقاعدة الصُّلبة التي تنبثق عنها تلك المعاني، والتي لولاها؛ لما كانت هنالك معانٍ، ولما أمكننا الإفصاحُ والتعبير عنها[٧٨].. ويكون في كلتا الحالتين مُمسكاً العصا من أحد أطرافها، تاركاً الوسط ذا السَّلامة والسَّداد والاتزان؛ مع أنَّ الخير كلَّ الخير في الأُمُور أوساطها!! والوسط في فنِّ التعامل مع النصوص اللغوية والشرعية يُرشدنا إلى أن ((يكون الاعتناءُ بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناءً على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها.. وهذا الأصلُ معلومٌ عند أهل العربية؛ فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المُراد، والمعنى هو المقصود.. ولا أيضاً كلُّ المعاني، فإنَّ المعنى الإفراديَّ قد لا يُعبأ به إذا كان المعنى التركيبيُّ مفهوماً دونه))[٧٩].

المبحث الخامس
طائفة من آراء العلماء بهذا الصدد

وبعدما سبق بيانه؛ يمكن أن ((يُفهم من ذلك أنَّ معرفة اللغة العربية شرطٌ في فهم القرآن الكريم؛ لأنَّ من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها؛ فإنه – لا شك – سيقع في الزلل؛ بلْ سيُحرِّف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية... ومن أعظم من زعم أنه لا يحتاج إلى لغة العرب: الباطنية؛ لكي يتسنى لهم تحريفُ كتاب الله ﷻ على ما يُريدون ممَّا لا يضبطه لغة، ولا عقل، ولا نقل!!))[٨٠]، وكلُّ تفسير ليس له أصلٌ من لغة العرب

التي نزل بها القرآن الكريم؛ فهو تفسيرٌ بالهوى والتشهِّي، مردودٌ على صاحبه كائناً من كان[٨١]!!

وفي هذا السِّياق يقول يحيى بن حمزة العلوي رحمه الله: ((اعلم أنَّ فريقاً من أهل الزيغ يزعمون أنهم يُصدِّقون بالقرآن، أنكروا تفسيره من اللغة، وأنه لا يمكن الوقوفُ على معانيه منها، ولا مجال فيه لاستعمال النظر، وسلوك منهج الاستدلال... وذلك لأنَّ القرآن لما كان مُصرِّحاً بفساد مذهبهم، وموضحاً لفضائحهم؛ حاولوا دفعه، مُوهمين أنَّ القرآن لا يدلُّ على فساد مذهبهم؛ لأنَّ معناه لا يُمكنُ أخذه من جهة اللغة؛ يريدون بذلك ترويج مذاهبهم الرديئة، وتسويغ تأويلاتهم المنكرة!!))[٨٢].

ويقرب من ذلك: الزعم باستغناء علم العربية عن غيره واكتفائه في فهم دلالات آي الذكر الحكيم!! ومنه ما نادى به الأُستاذ أمين الخولي فيما سمَّاه بـ«**التفسير الأدبي للقرآن**»، الذي أهمل فيه ما سوى اللغة، وألغى مصادر التفسير الأخرى، ورأى أنَّ دراسة القرآن الكريم تقوم على كونه نصَّاً عربياً يحقُّ لأيِّ عربيٍّ كائناً من كان في اتجاهه الفكري ومعتقده الديني أن يدرسه درساً أدبياً!!

وكان ممَّا أدلى به في هذا السِّياق تحت عنوان: «**القرآن كتاب العربية الأكبر**»: ((... فالعربيُّ القحُّ، أو من ربطته بالعربية تلك الرَّوابط، يقرأ هذا الكتابَ الجليلَ، ويدرسه درساً أدبياً كما تدرس الأُمم المُختلفة عيون آداب اللغات المُختلفة، وتلك الدِّراساتُ الأدبية لِأَثرٍ عظيمٍ كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً؛ وفاءً بحقِّ هذا الكتاب؛ ولو لم يقصدوا الاهتداء به، أو الانتفاع بما حوى وشمل؛ بلْ هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً؛ ولو لم تنطو صدورُهم على عقيدة ما فيه، أو انطوت على نقيض ما يردِّده المسلمون الذين يعدُّونه كتابهم المقدَّس.. فالقرآن كتابُ الفنِّ العربي الأقدس؛ سواءٌ أنظر إليه الناظر على أنه كذلك في الدِّين أم لا.

وهذا الدرس الأدبيُّ للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون النظر إلى أي اعتبار دينيٍّ هو ما نعتدُّه وتعتدُّه معنا الأمم العربية أصلاً، العربية اختلاطاً، مقصداً أول، وغرضاً أبعد يجب أن يسبق كلَّ غرض، ويتقدَّم كلَّ مقصد.. ثمَّ لكلِّ ذي غرض أو صاحب مقصد – بعد الوفاء بهذا الدَّرس الأدبيِّ – أن يعمد إلى ذلك الكتاب؛ فيأخذ منه ما يشاء، ويقتبس

منه ما يُريد، ويرجع إليه فيما أحبَّ من تشريع، أو اعتقاد، أو أخلاق، أو إصلاح اجتماعي، أو غير ذلك.. وليس شيءٌ من هذه الأغراض يتحقق على وجهه إلَّا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحد، دراسة صحيحة مفهمة له.. وهذه الدراسة هي ما نُسمِّيه اليوم تفسيراً؛ لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن، ولا فهم معناه إلَّا بها))(٨٣)!!

ولقد حاولتْ تلميذته في هذا المنهج الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ تطبيق هذا المنهج في تفسيرها البياني؛ فبدا جلياً ازدراؤه للمصادر الأخرى في التفسير!! تقول – مثلاً – في معرض تفسيرها لسورة الضحى بعدما ساقت الروايات المأثورة في سبب نزولها: ((ولا نقفُ عند ما اختلفوا فيه؛ فأسبابُ النزول لا تعدو أن تكون قرائن ممَّا حول النصّ، وهي – باعتراف الأقدمين أنفسهم – لا تخلو من وَهْمٍ، والاختلاف فيها قديم، وخلاصة ما انتهى إليه قولُهم في أسباب النزول: أنها ما نزلتْ إلَّا أيام وقوعه، وليس السَّبب فيها بمعنى السَّببية الحُكمية العِلِّيَّة))(٨٤)!!

ويعقب الدكتور الطَّيَّار على النصِّ السَّابق مُنتقداً ما ذهبتْ إليه فيه؛ إذ يقول: ((فانظر عدم اعتدادها بما يحفُّ النصَّ من مُلابسات، وعدم تحريرها في أسباب النزول، وعدم فهمها لها!! ويظهرُ ذلك بهذه النتيجة التي وصلتْ إليها في الحكم على ما توصَّل إليه الأقدمون بزعمها!! وإذا قرأتَ في ما كتبتْه في «**التفسير الأدبي**»؛ ظهر لك جلياً أنَّ هذه الدِّراسة لا تعتدُّ إلَّا بما تتوصَّل إليه هي، مُعتمدة على اللغة في تحليل ألفاظ الآي، غير آبهةٍ بمصادر التفسير الأخرى؛ فلا تجد عندها إلَّا الإزراء بتفاسير السلف رحمهم الله ونقدها!!))(٨٥).

ويضرب لنا مثالاً حول استخفافها بالمأثور من تفسير السلف؛ وذلك ما ذكرته من أقوال في تفسير قوله ﷻ: ﴿**أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢**﴾ [سُورَةُ التَّكَاثُرِ]، وتعقيبها بالقول: ((استعمال الزيارة بهذا المعنى صريح الإيحاء بأنَّ الإقامة في القبر ليستْ دائمة؛ وإنما نحن فيها زائرون، والزائر غيرُ مقيم، وسوف تنتهي الزيارة حتماً إلى بعث وحساب وجزاء، وهذا الإيحاء ينفرد به لفظ «**زرتم**» دون غيره؛ فلا يُمكنُ أن يُؤدِّيَه لفظ آخر؛ كأنْ يقال: «**صرتم**»، أو «**رجعتم**»، أو «**انتهيتم**»، أو «**أُبتم**»، أو «**أُلتم**»..

وليس القبر المصير والمرجع والمآب والمآل، كما لا يقال: «**سكنتم المقابر**» أو «**أقمتم بها**».. إلى غير ذلك من ألفاظ تشترك كلُّها في الدلالة على ضجعة القبر؛ ولكن يعوزها سرُّ التعبير الدال على أنها زيارة؛ أي: إقامة عابرة مؤقتة، يعقبها بعثٌ ونشور!!

وليس بعجيبٍ أن يفوت هذا السِّرُّ البياني مُفسِّرين كان جهدهم أن يجمعوا كلَّ ما يُمكنُ أن تحتمله الدلالات المعجمية لزيارة المقابر، وشتى المرويات في تأويلها.. حتى الذين فسَّروا الزيارة بالموت هنا لم يلتفتوا إلى سرِّه البياني، وهو ما لم يفُتْ أعرابياً سمع الآية؛ فقال: «**بُعث القوم للقيامة وربِّ الكعبة؛ فإنَّ الزائر مُنصرفٌ لا مقيم**».. ورُوي عن عمر بن عبد العزيز نحوٌ من قول الأعرابي))[٨٦].

وأردف الطَّيَّار بالقول: ((إنَّ المُطالبة بدراسة القرآن الكريم على أنه نصٌّ عربي، وتفريغه من المحتوى الشرعي الذي يحيط به دعوة باطلة، زائفة، مغرضة، ليس قصد أصحابها إلَّا الهدم والنخر في جسم الأمة، ومحاولة النيل من تراثها الفكري الذي يمثل لها ثباتاً في القيم والأخلاق والعقائد))[٨٧].

وإذا كان هذا هو شأن اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم، والكشف عن معانيه السامية.. فهل يعني ذلك أنه يمكن لهذه اللغة أن تستقلَّ بتفسير القرآن المجيد؟!! ليأتينا الجواب المحكم من فوره: مع ما سبق ذكره من أقوال العلماء، وسياقات الأحوال، وقرائن الواقع، والقاضية جميعاً بالأهمية البالغة لتلك اللغة الكريمة في فهم كتاب الله ﷻ وبيان مراميه؛ إلَّا أنَّ ذلك لا يعني بحالٍ اكتفاءها أو كفايتها في هذا المجال، ولا يمنحها صكَّ الانفراد والاستقلال عن أخدانٍ لها من شروط وضوابط أخرى عديدة[٨٨]!!

قال الإمام القرطبي رحمه الله في مقدِّمة تفسيره في معرض حديثه عن تلك الضوابط، محذراً المُتدبِّر لآي الذكر الحكيم أو من طفق في بيانها فهماً أو إفهاماً من ((أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلَّق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المُبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار، والتقديم والتأخير.. فمن لم يُحكِمْ ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمُجرَّد فهم العربية؛ كثر غلطُه، ودخل في زمرة من فسَّر القرآن بالرأي!!

والنقل والسماع لا بدَّ له منه في ظاهر التفسير أولاً؛ ليتقي به مواضع الغلط، ثمَّ بعد ذلك يتَّسع الفهم والاستنباط.. والغرائب التي لا تفهم إلَّا بالسَّماع كثيرة، ولا مطمع في الوُصُول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.. إلَّا ترى أن قوله ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ ﴿٥٩﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ] معناه: «**آية مبصرة**»؛ فظلموا أنفسهم بقتلها؟!! فالناظرُ إلى ظاهر العربية يظنُّ أنَّ المُراد به أنَّ الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا؟!! وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم!! فهذا من الحذف والإضمار.. وأمثال هذا في القرآن كثير))[٨٩].

قال ابن تيمية رحمه الله فيمن يفسِّر القرآن الكريم فيما يسوغ له بمُجرَّد أحكام اللغة العربية وما تمليه عليه قواعدها بأنهم ((قوم فسَّروا القرآن بمُجرَّد ما يسوغ أن يُريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظرٍ إلى المتكلِّم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به.. فالأوَّلون[٩٠] راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظرٍ إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مُجرَّد اللفظ وما يجوز عندهم أن يُريد به العربيُّ من غير نظرٍ إلى ما يصلح للمتكلم به، ولسياق الكلام.. ثمَّ هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما إنَّ الأولين كثيراً ما يغلطون في صحَّة المعنى الذي فسَّروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون؛ وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق))[٩١].

وعقد الطيار لذلك قاعدة في أطروحته القيمة، الموسومة بـ«**التفسير اللغوي**»، بعنوان: «**لا يصحُّ الاعتماد على اللغة دون غيرها من المصادر التفسيرية**»، أبان لنا فيها أنه مع ما للُّغة من أهمية بالغة في فهم معاني الذكر الحكيم، وأثرٍ واضح في الرَّدِّ على انحرافات بعض التفاسير وتعريتها، وكشف زيفها، وتفنيد آراء أربابها؛ فإنها لا ترقى إلى أن تكون المصدر الوحيد في هذا الباب؛ بل لا بدَّ معها من الأدوات الأخرى، ومن بين تلك الأدوات والعلوم ما يُقدَّم عليها عند الاختلاف في فهم مُراد بعض الآيات.. فسبب النزول يبين المعنى المحتمل من بين المدلولات اللغوية للفظ؛ فلا يصحُّ حمل المعنى على غير ما يدلُّ عليه سبب النزول إن وُجد.. والمعنى الشرعي مُقدَّم على المدلول اللغوي حين التعارض بينهما؛ لأنَّ الشارع حينئذ معنيٌّ ببيانه لا ببيان المعنى اللغوي[٩٢]!!

المبحث السادس

كلمة أخيرة بهذا الشأن

هذا، وتمتاز بيانات القرآن الكريم بجُملةٍ من الجوانب والسِّمات العامَّة؛ من أبرزها أنه ((يقوم بالأساس على فكرة أداء المعنى المُراد بصورة جمالية مُؤثرة في النفس من خلال العلاقات اللغوية: صوتياً بين الحروف، ونحوياً بين الكلمات، وصرفياً باختيار بناءٍ صرفيٍّ مُحدَّد.. وهذه العلاقات الثلاث تسهم في وضعية الدلالة وتأثيرها))(٩٣)، وفي هذا السِّياق يقول الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي: ((وموضوع «**علم اللغة المقارن**»: دراسة الظواهر الصَّوتية، والصَّرفية، والنحوية، والمُعجمية في اللغات المنتمية إلى أُسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأُسرة اللغوية الواحدة))(٩٤).

وبعبارة أدق وأوسع يمكننا القول: ((إنه لا يمكن فكُّ مغاليق أيِّ نصٍ لغويٍّ من دون تحليله إلى مكوناته الأساسية: اللفظية والدلالية التي تتدخل لتحديد معاني ألفاظه، والتي تشمل: جذر الكلمة، ووزنها أو صيغتها الصَّرفية، ونوعها أو جنسها النحوي الذي تنتمي إليه، والمعنى المعجمي للفظ محكوماً بسياقاته الواقعية ومصاحباته اللفظية التي ورد فيها))(٩٥).

ومن هنا؛ فقد مثلت ((المباحث الدلالية الغاية الأولى التي يطمح البحث اللغوي الوصول إليها؛ لأنَّ دراسة النصِّ – أياً كان – تبتدئ بالجزئيات الصغيرة المتمثلة بالوحدات الصَّوتية انتقالاً إلى الوحدة الصَّرفية؛ فالظاهرة النحوية، وصولاً إلى المستوى الدلالي الذي تجتمع فيه خيوط كلِّ هذه الأقسام، فمنه تبدأ عملية فهم النصِّ ومعرفة دوافعه وغاياته، ومن هذا المستوى يستطيع المُتلقِّي النظر إلى النصِّ بشكل كامل، والوقوف على غاياته وأبعاده.. فالمباحث الدلالية تكون مُكمِّلة لما سبقها من دراسة))(٩٦).

ولما كان الهدف واحداً من هذه العلوم؛ فقد تآزرتْ وتكاملتْ في فهم النصِّ الشرعي، وأجمع علماء الشريعة وفقهاؤها على أنَّ تعلُّم العربية والتعمُّق فيها شرطٌ أساسيٌّ لكلِّ باحث في أيِّ علمٍ شرعي يروم السلامة والصواب، ولجأ أئمة الاستنباط إلى تلك القواعد يستشرحونها ويستعينون بها على بيان أحكام الله ﷻ؛ بلْ جعلوها أحياناً حكماً بين الآراء، ومُرجِّحاً لبعض الأحكام؛ فكانت مباحث الألفاظ العربية باباً رئيساً في علم أصول

الفقه، وكان اشتراط أهل العلم في أيِّ مجتهد أن يكون فقهه عميقاً لأسرار العربية[٩٧]، وكانتْ مقولاتُ المفسِّرين في مقدِّمات كتبهم تنبيهاتٍ مسهبة إلى أهمية التعمُّق في العربية بعُلُومها المُختلفة وخطورته، وأنه وسيلة حكيمة لفهم مُرادات كتاب الله ﷻ[٩٨].

ويرجع الأساسُ الذي بُنيت عليه أهمية الرجوع إلى هذه العلوم إلى أنَّ القارئ والدارس لأيِّ نصٍّ عربي قد يوافقه لفظ لا يدري استعمال العرب له؛ فيلجأ فوراً إلى المعجم العربي؛ ليعرف دلالته اللغوية، وفي هذا السِّياق يقول الأُستاذ الدكتور أحمد مطلوب «رئيس المجمع العلمي العراقي سابقاً»: ((ويعدُّ المعجم العربي من أضخم المعاجم، وأكثرها دقة في العرض والتثبُّت من الكلام، وهو أهمُّ المصادر في معرفة العربية، والرجوع إليه شرطٌ في التأكُّد من سلامة اللغة، وصحَّة ما نقل عن العرب))[٩٩].

بيد أنَّ المعاجم العامَّة؛ وبخاصَّة الكبيرة منها؛ كـ«**تهذيب اللغة**»، و«**لسان العرب**»، و«**تاج العروس**» تشتمل على المعاني الواردة في اللغة بمُختلف لهجاتها، وما ورد من شعرها ونثرها، فضلاً عن إلمامها بجُلِّ ما يحيط باللفظة أو التركيب من جوانب دينية، وأدبية، وفكرية، واجتماعية، وتاريخية، وخلقية، وفنية، ونفسية، وغيرها؛ حتى وُصفتْ – وما أدقه وما أبلغه من وصفٍ!! – بأنها «**دائرة معارف عامَّة**» للحياة العربية في جميع نواحيها.. وقد يصعب على الدارس للنصِّ القرآني تحديد المعنى المُراد من بين الأمواج اللُّجِّيَّة المتلاطمة، وحشود المعاني الكثيفة المتراكمة المضمَّنة في بطون تلك الأسفار الضخمة والمعجمات والموسوعات العلمية المترامية الأطراف؛ فالأفضل له – والحال تلك – أن يلجأ – إذا ما كان من رُوَّاد الاختصار والاقتضاب والمعلومة العلمية السريعة والمباشرة.. وهذا هو حالُ أكثر رُوَّاد تلك الأسفار من طلبة العلم ومُحبِّي الاطلاع على تراث الأمة – إلى كتب الغريب، فإذا كان البحث عن معنى لفظٍ قرآني؛ رجع إلى كتب غريب القرآن؛ وإن كان في حديث نبوي؛ لجأ إلى كتب غريب الحديث؛ ومن أفضل هذه الكتب في غريب القرآن وأجودها: «**المفردات**»، لأبي الفرج الراغب الأصفهاني.

وبعد أن يعرف القارئ والباحث المعنى اللغويَّ للمادَّة؛ كان لا بدَّ له من أن يبحث عن الصيغة التى أتت عليها؛ إذ لكلِّ صيغة معنىً يخصُّها، وعند معرفة الصيغة ومعانيها الواردة في اللغة ينضاف المعنى الصيغي إلى المعنى اللغوي للمادَّة؛ فإنَّ كلَّ

حرف يُزاد على أصول الكلمة العربية؛ لا بدَّ أن يكون له معنىً زائدٌ يقصده البليغ.. ويتكفل ببيان هذه الصيغ علم الصَّرف «morphology»؛ إذ إنَّ لفهم الكلمة اللغوية كمفردة شقَّينِ: **الأوَّل:** الدلالة الصَّرفية «**الاشتقاقية**» من غير النظر إلى المعنى؛ وهي الدلالة الأساسية المقصودة للبنية.. **والثاني:** الدلالة المعجمية؛ وهي الأصل؛ لأنها تعتمد على دلالة الجذر وما يضاف عليها من معانٍ تتبع زيادة المبنى؛ نحو: «**كتب، وكاتب، وكتاب، ومكتوب، وكتيب، وكُتَّاب، وكواتب، ومكتب، ومكتبة، ومكاتب**...»، وما عدا هذين الشقين يدخل في التركيب(١٠٠).

ومن هنا تتجلى الأهمية المُلِحَّة لدراسة علم الصَّرف، وتتضح ضرورة الإلمام بمسائله؛ فإنها مهمة للغاية في كيفية تجريد الكلمة من زوائدها؛ ليتمكن الدارس من الكشف عن معناها في المعاجم؛ لأنَّ معظم هذه المعاجم تضع تصرُّفات اللفظ تحت المادَّة اللغوية المُجرَّدة، فإذا شاء الباحث معرفة معنى الاستقامة مثلاً؛ كان عليه أن يرجع إلى مادَّة «**ق و م**».. وإن رام البحث عن معنى التقوى؛ كان عليه أن يبحث في مادَّة «**و ق ي**»، وهكذا.

وهكذا، فإنَّ ((العودة إلى الجذر الأصلي للكلمة «root» قد يساعد إلى حدٍّ بعيد في الكشف عن معالمها، ومعرفة الجذر تتصل اتصالاً وثيقاً بالاشتقاق وطرقه في اللغة، وهو بشكلٍ عامٍ الوسيلة التي تتحقق بها الصلة بين كلمات اللغة، وهذه الصلة قوامها اشتراك الكلمات في جذر واحد ثابت لا يتغير؛ وهو ما يُعبِّر عنه المعجميون باسم «**الاشتراك في المادَّة** – Basic form»؛ إذ يجعلون حروف هذا الجذر مدخلاً إلى شرح معاني الكلمات ودلالاتها التي ترجع إلى جذر أو أصل واحد ثابت «Entry form»، هو في الحقيقة يُشكِّل البنية الأساسية للكلمة))(١٠١).

وبعد أن يُحدِّد المعنى اللغوي من كتب الغريب، والمعنى الصيغي من علم الصَّرف؛ يأتي دور علم النحو في تحديد الموقع الإعرابي لهذه الكلمة ووضعها في الجملة التركيبية؛ كي لا يُنسَبَ حدثٌ إلى من لم يقمْ به.. ولا يخفى على اللبيب الفطن والمُتدبِّر الحصيف ما للحكم النحويِّ والعلامة الإعرابية في آخر اللفظ من أهمية بالغة في تحديد

المعنى المُراد.. وهنا قد يحتمل الموضع الواحد من الآية القرآنية أوجهاً إعرابية مُتعدِّدة، وهذا يُؤدِّي بالنتيجة إلى ظهور معانٍ مُتعدِّدة بتعدُّد تلك الأوجُه.

والبحثُ عن الوجه الإعرابيِ الصوابِ يصلُ بالقارئ إلى المعنى المُراد الذي سيقت الآية من أجل تحقيقه؛ فتعدُّد تلك الأوجه ليس ((مُجرَّد استكثار من تعبيراتٍ لا طائل تحتها كما يتصوَّر بعضُهم، وإنَّ جواز أكثر من وجه تعبيريٍّ ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، ولا أنَّ لك الحقَّ في أن تستعمل أيها تشاء كما تشاء؛ وإنما لكلِّ وجهٍ دلالته.. فإذا أردت معنىً ما؛ لزمك أن تستعمل التعبير الذي يُؤيِّده... فالأوجُهُ التعبيرية المُتعدِّدة إنما هي صورٌ لأوجُه معنوية مُتعدِّدة))(١٠٢).

ولكي يتسنى للباحث والقارئ الوضوح التامُّ والبيان الأسنى للأسلوب العربيِّ عموماً، والشرعي منه على نحوٍ خاصٍ، والقرآنيّ على وجهٍ أخصّ؛ فلا مهرب له ولا محيص من معرفة سياق النصِّ بسوابقه ولواحقه، ومعرفة البيئة والجو العامِّ للنصِّ، وتتعرَّض لهذا كتب ومُصنَّفات عديدة؛ منها: «**أسباب النزول**»، لأبي الحسن الواحدي، و«**لُباب النقول**»، لجلال الدين السيوطي، وغيرهما.. كما لا ينبغي أن يعزب عن بالهما ما لكتب البلاغة والبيان من أثر بيِّن وإسهامٍ فاعل في فهم مدلولات الألفاظ والنصوص على حدٍّ سواء، ومن أفضلها: «**دلائل الإعجاز**»، و«**أسرار البلاغة**»، لشيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني، و«**تلخيص المفتاح**»، و«**الإيضاح في علوم البلاغة**» في شرح التلخيص، لأبي المعالي الخطيب القزويني، و«**سر الفصاحة**»، لأبي محمد بن سنان الخفاجي... الخ.

هذا، ومن الأهمية بمكانٍ التنبيهُ إلى أنه قد يرد اللفظ الواحد في القرآن الكريم والحديث الشريف مُستعملاً في أكثر من معنىً؛ ضرورةَ مراعاتهما للهجات العربية المُختلفة.

وفي جملة تلك العناصر والظروف والملابسات والأدوات يقول صلاح الدين الزعبلاوي في كلام له رائع وعلمي ورصين يدخل الأذن بلا إذن، ويقرُّ بين طيات القلب بلا حراك: ((من النقاد من يتعلَّق بظاهر النصِّ المدرج في المعاجم، على اختصارٍ وجُمُود، وعلى قصدٍ وإجمال، وفي غير بسط أو إحاطة أو استيعاب!! والكشف عن

دلالات الكلم مرهون بتبيُّن أصول اشتقاقها، أو اجتلاء مدارجها في المجاز والنقل، وتعرُّف مساربها في أداء أغراضها والتعبير عن قصودها، واستشفاف قرائنها في متباين مواقعها في الاستعمال والتركيب.. فمن الخطأ أن يظنَّ ظانٌّ أنَّ معاجم اللغة وما إليها من أسفار النحو وحواشيها، وكتب الصَّرف وشروحها، هي عُدَّة اللغوي وحدها، وأنَّ نقولها مُعوَّل تحقيقه وغاية بحثه وحُكْمه دون سواها!! والصَّحيح أنَّ مراجع اللغوي إلى ذلك كتب التفسير، والأدب، ودواوين الشعر، وصُحُف الرسائل، والرقاع، ومصنفات القوم في التاريخ والأخبار والأسفار؛ بلْ مؤلَّفاتهم في مُختلف العُلُوم والصِناعات، ووضائعهم في الحكم والأمثال))[١٠٣].

وختاماً؛ فإنَّ للتفسير اللغوي للقرآن الكريم دلالته الخاصَّة ومفهومه المُحدَّد، ومعناه: تفسير القرآن الكريم بلغة العرب، وهو قسمان: عامٌّ، وخاصٌّ، فأما التفسير اللغويُّ الخاصُّ؛ فيتعلَّق ببعض الجزئيات المتمثلة بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول الكليات والقضايا اللغوية العامَّة، ومن أبرز نماذج هذا القسم من التفسير وأشهرها وأقدمها: التفسير المشهور عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والذي يعنى بتفسير الكلمة المفردة، وبيان دلالتها مُستقلَّة عن أخواتها، وعن التركيب الذي وردتْ فيه، والذي عُرف فيما بعدُ بـ«**مسائل نافع بن الأزرق**».

وأما التفسير اللغويُّ العامُّ؛ فيتناول القضايا اللغوية العامَّة؛ كالنحو والإعراب، والصَّرف، والبلاغة، والمباحث الدلالية، والقراءات القرآنية وتنزيلها على المعاني المُختلفة، والسِّياق بأنواعه، والأصوات اللغوية وما يتصل بها، والعناصر الأُخرى غير اللغوية ذات الصِلة.. وغير ذلك ممَّا يدخل في عُلُوم اللغة وظواهرها عامَّة، أو يتَّصل بها[١٠٤].

مُجملُ القول في هذا المقام الخطير أنَّ الكلمة في اللغة في سياقها لا تستمدُّ مدلولها ووجه دلالته عليه من مادَّتها اللغوية المعجمية والاشتقاقية التي تولَّدت منها وانبثقت عنها فحسبُ؛ وإنما تستقي كلَّ ما فيه رواؤها وحياتها وحيوتها من روافد عديدة؛ منها: المادَّة، والصورة التي تكون عليها، والموقع والتركيب الذي تقع فيه، ومنهاج أدائها، بلْ ومذهب رسمها وكتابتها، وطريقة نطقها... الخ.. وهذه الروافد لا يتعاند عطاؤها؛ بلْ يتساند ويتفاعل ويلتقي ويتَّحد في المنبع والمَصَبِّ، وقد يكون بعضها أظهر وأكثر؛ ولكنه

لا ينفي عطاء الآخر ولا يلغيه بحالٍ؛ بلْ يُكوِّن معه لُحمةً واحدةً تعمل عملها في أداء دلالة اللفظة بجميع ظروفها، ومُختلف ملابساتها(١٠٥).

□

الخاتمة

وفي ختام بحثنا هذا عن الأثر البالغ الذي تحدثه اللغة بأحكامها وقواعدها وسننها في إحكام تفسير آي الذكر الحكيم وفقه معانيه وإدراك مراميه؛ لا يَسَعُنا إلَّا أن نثبت طائفة من الحقائق المهمة التي وردتْ بين دفَّتيه؛ وهي:

- القرآنُ عربيٌّ، وقد أُنزل على رسول عربي، وخوطبت به – في بادئ الأمر – أُمَّة العرب، وكان مقصودُه الهداية والنُّصْحَ والإرشاد؛ لذا كان لا بدَّ أن يأتي بيناً واضحاً بالنسبة للأُمة المخاطبة به، ولا يكون كذلك حتى تفهمه وتعقله، ولا يتم ذلك حتى يكون جارياً على معهودها في الخطاب، وعاداتها في الكلام.. وهكذا كان القرآن الكريم.
- القرآن الكريم مفهوم المعنى كلُّه؛ فليس فيه ألغاز، ولا أحاجي، ولا أسرار كامنة تستفاد من مصادر خارجة عن قوانين اللغة العربية وعُرف استعمال اللسان العربي.. وكلُّ تفسير لكلام الله ﷻ خارج عن قانون لغة العرب؛ فهو تفسيرٌ بالهوى والتشهِّي، مردودٌ على صاحبه.
- تعدُّ معرفة أحكام اللغة العربية شرطاً أساسياً في فهم القرآن الكريم؛ لأنَّ من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها؛ فإنه لا شك سيقع في الزلل؛ بلْ سيُحرِّف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية.
- لا بدَّ في فهم معاني نصوص الكتاب والسنة من مُراعاة معهود العرب في خطابها؛ فلا يصحُّ العدول عن عُرفها في كلامه، كما لا يصحُّ أن يفهم كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ على نحو لا تعرفه العرب من لغتها وأُسلوبها.
- لقد اتخذ الإسلام العربية لساناً له؛ فلا سبيل إذاً إلى ابتغاء فهم القرآن الكريم إلَّا عن جهة لسان العرب، والاعتماد على لغتهم في ألفاظها وتراكيبها.. فمن تكلَّف في فهمه على غير ذلك؛ فإنَّ موافقته للصواب – إن وافقه – غير محمودة، ومن زعم أنه قادر على فهم كلام الله ﷻ من غير معرفةٍ بلسان العرب؛ فقد رام صعباً، وقال محالاً، وأعظم الفرية؛ لأنَّ كلَّ معنىً مستنبطٍ من القرآن الكريم إن لم يكن جارياً على

اللسان العربي؛ فليس من القرآن، ولا من علومه في شيء، وكلَّ تفسير ليس له أصلٌ من لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم؛ فهو تفسيرٌ بالهوى والتشهّي، مردودٌ على صاحبه كائناً من كان.

❁ لقد بلغ من أهمية هذه اللغة الكريمة ومكانتها في التشريع أنها غدت القاعدة المتينة التي تقوم عليها الأحكام؛ فما من علمٍ من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها، وعلمَيْ تفسيرها وأخبارها إلَّا وافتقاره إلى العربية بيِّنٌ لا يُدفع ومكشوف لا يتقنع؛ وذلك أن معاني هذه العلوم لا تعرف على الحقيقة إلَّا بمعرفة ألفاظها، والوصلة إلى معرفة ألفاظها معرفة اللغة العربية.

❁ ليس في الأرض أمة كانت تربيتها لغوية غير أهل هذه الجزيرة، وأيُّ شيء في تاريخ الأمم أعجبُ من نشأةٍ لغوية تنتهي بمُعجزةٍ لغوية.

❁ لا يمكن لنا بحالٍ أن نتصوَّر مُسلماً قد وعى أبعاد دينه الحنيف من غير وعي سليم في مجال اللغة العربية: طبيعتها، وحقائق خصائصها، وأن يتخذ بعد ذلك من مشكلاتها، وأعدائها موقفاً واعياً مبصراً ينسجم مع وعيه بجميع جوانب حياته الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والروحية؛ فهي جزء لا يتجزأ من دينه إنْ كان للدِّين عنده شأن.

❁ إنَّ أحكام اللغة – مع أهميتها وجلالة قدرها في إحكام تفسير القرآن المجيد وفقه معانيه – لا تستقلُّ بمُجرَّدها بهذا الشأن الخطير، وهذا يعني أنَّ اللغة ليست المصدرَ الوحيد الذي يمكن لمن أحكمه أن يفسِّر آيَ القرآن؛ إذ لا بدَّ للمُفسِّر من استكمال أدوات، والإلمام بمصادر أخرى يعتمد عليها في تفسيره؛ كالسنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، وأحوال من نزل فيهم الخطاب...

❁ إنَّ فهم المُراد من أيِّ نصٍّ كلامي يتوقف على معرفة دلالات الكلمات والمفردات الواردة فيه بأبعادها المُختلفة؛ وعليه فإنَّ من يُريد فهم القرآن الكريم؛ فلا يَسَعُهُ إلَّا أن يكون على معرفة ودراية باللغة العربية: بدلالات ألفاظها، وتنوع تراكيبها، واختلاف أساليبها، ووُجُوه المُخاطبات فيها.

❁ تعدُّ الكلمة المُفردة أساسَ اللغة وحَجَرَ الزاوية في بناء العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ لذا قرَّر جُلُّ العلماء أنَّ العناية بها، وبيان أحكامها في اللغة قبل استعمالها في التركيب أمرٌ لا غنى للمفسِّر عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال.

❁ ليس كلُّ ما جاز لغة؛ جاز تفسيراً؛ إذ لا يعدُّ المعنى القاموسيُّ أو المعنى المعجميُّ كلَّ شيء في إدراك معنى الكلام وفقهه والإلمام به؛ فثمَّة عناصر أُخرى غير لغوية ذاتُ دخلٍ كبير في تحديد المعنى، بلْ هي جزءٌ من معنى الكلام؛ كشخصية المُتكلِّم، وشخصية المخاطب، وما ينعقد بينهما من علاقات، وما يُحيط بالكلام من ظروف ومُلابسات؛ إذ ليست اللغة مفرداتٍ في معاجم، ولا جُملاً منعزلة منفصلة تدوَّن في الصُّحُف.

❁ إنَّ الكلمة في اللغة في سياقها لا تستمدُّ مدلولها ووجه دلالته عليه من مادَّتها اللغوية المعجمية والاشتقاقية التي تولَّدت منها وانبثقت عنها فحسبُ؛ وإنما تستقي كلَّ ما فيه رواؤها وحياتها وحيوتها من روافد عديدة؛ منها: المادَّة، والصورة التي تكون عليها، والموقع والتركيب الذي تقع فيه، ومنهاج أدائها، بلْ ومذهب رسمها وكتابتها، وطريقة نطقها.. وهذه الروافد لا يتعاند عطاؤها؛ بلْ يتساند ويتفاعل ليُكوِّن لُحمة واحدة تعمل سوياً في أداء دلالة اللفظة.

❁ إنَّ تحرِّي معنى الكلمة كما هي في كلام العرب، من دون إضافة معانٍ أخرى لا تدلُّ عليها الكلمة في استعمال العرب لها من شأنه أن يساعد على فهم المعنى المُراد من النص؛ إذ إنَّ اللفظ هو الأداة لإيصال المعنى إلى المخاطب؛ لذلك فإن التقصير في تحديد معنى اللفظ قد يؤدي إلى وصول المعنى إلى المخاطب بشكل مغلوط.

❁ في كلِّ لفظ يردُ في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أربعُ احتمالات من حيث المعنى: فإما أن يكون لهذا اللفظ معنىً شرعي، وإما أن يكون له معنىً عُرفي، وإما أن يكون له معنىً لغوي.. فإن لم يُوجدْ أيٌّ من تلك المعاني الثلاثة؛ نظر فيه بحسب الحقيقة أو المجاز.

❁ لا يمكن فكُّ مغاليق أيِّ نصٍ لغويٍّ من دون تحليله إلى مكوناته الأساسية: اللفظية والدلالية المسهمة في تحديد معاني ألفاظه، والتي تشمل جذر الكلمة، ووزنها أو

صيغتها الصَّرفية، ونوعها أو جنسها النحوي الذي تنتمي إليه، والمعنى المعجمي للفظ محكوماً بسياقاته الواقعية ومصاحباته اللفظية التي ورد فيها.

❁ للتفسير اللغوي للقرآن الكريم دلالته الخاصَّة ومفهومه المُحدَّد، ومعناه: تفسير القرآن الكريم بلغة العرب، وهو قسمان: عامٌّ، وخاصٌّ، **فأما التفسير اللغويُّ الخاصُّ**؛ فيتعلَّق ببعض الجُزئيات المُتمثِّلة بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول الكليات والقضايا اللغوية العامَّة.. **وأما التفسير اللغويُّ العامُّ**؛ فيتناول القضايا اللغوية العامَّة؛ كالنحو والإعراب، والصَّرف، والبلاغة، والمباحث الدلالية، والقراءات القرآنية وتنزيلها على المعاني المُختلفة، والسِّياق بأنواعه، والأصوات اللغوية وما يتَّصل بها، والعناصر الأُخرى غير اللغوية ذات الصِّلة، وغير ذلك ممَّا يدخل في علوم اللغة وظواهرها عامَّة.

❁ يُشكِّل التفسير اللغوي لبنة متماسكة، وركناً حيوياً، وجزءاً مُهمَّاً من ميدان علم التفسير الرَّحْب، وهو من أكبر مصادر التفسير وأجلِّها؛ لذا لا يمكن أن يخلو منه كتابٌ في التفسير البتة إلَّا أن يكون من المصنفات المنحرفة التي لا تعتمد لغة العرب في بيان معاني القرآن الكريم.. فاللغة العربية هي لغة القرآن، والقرآن قد نزل بها؛ لذا فكلٌّ منهما يُكمِّل الآخر ويكتمل به، ولا غنى، ولا انفصال لأحدهما عن الآخر بأيِّ حالٍ من الأحوال.

هوامش البحث ومصادره:

(١) أثبت الله ﷻ العربية للغة القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً من كتابه العزيز؛ هي: [سُورَةُ يُوسُفَ] الآية ٢، و[سُورَةُ الرَّعْدِ] الآية ٣٧، و[سُورَةُ النَّحْلِ] الآية ١٠٣، و[سُورَةُ طه] الآية ١٣، و[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ] الآية ١٩٥، و[سُورَةُ الزُّمَرِ] الآية ٢٨، و[سُورَةُ فُصِّلَتْ] الآيتان ٣، و٤٤، و[سُورَةُ الشُّورَىٰ] الآية ٧، و[سُورَةُ الزُّخْرُفِ] الآية ٣، و[سُورَةُ الأَحْقَافِ] الآية ١٢.. ونفى عنها العجمة في أربعة مواضع؛ وهي: [سُورَةُ النَّحْلِ] الآية ١٠٣، و[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ] الآية ١٩٨، و[سُورَةُ فُصِّلَتْ] الآيتان ٣، و٤٤.

(٢) ينظر: مباحث في علم التفسير/ ص١٥٤- ١٥٧، والتأويل الباطني في القرآن الكريم/ ص١٢، و٤٩٥.

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٧٨)، وينظر: السيرة النبوية، لابن كثير (١/ ٤٩٨)، والنبأ العظيم – نظرات جديدة في القرآن الكريم/ ص١٢١- ١٢٢.

(٤) **الكرسف**: القطن.

(٥) الفرق: الخوف الشديد.

(٦) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٣٨٢- ٣٨٣)، والبداية والنهاية (٣/ ١٢٣).

(٧) ينظر: الأغاني (٣/ ٢٧٤)، والشعر الجاهلي، للوائلي/ ص٣٢.

(٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ١٢)، والتحرير والتنوير (١/ ١٨)، وأصول التفسير وقواعده/ ص١٣٨، ولغة القرآن/ ص٤٤٦.

(٩) قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ ص١٠٧- ١٠٨، وينظر: الصاحبي في فقه اللغة/ ص٤٩، ومباحث في علم التفسير/ ص١٥٤، واللغة العربية – لسان وكيان «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد الأول/ ص٩٣- ٩٤.

(١٠) ينظر: الرسالة/ ص٥١- ٥٧.

(١١) المصدر نفسه/ ص٤٠.

(١٢) (١/ ١٠- ١١)، وينظر: التفسير اللغوي/ ص٤٠- ٤١، والاتجاه اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ ص٣.

(١٣) كتاب الصناعتين (١/ ١٥٤).

(١٤) فقه اللغة، للثعالبي/ ص٢، وينظر: فقه اللغة، للحمد (١/ ٢).

(١٥) اقتضاء الصراط المستقيم/ ص١٦٢، وينظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٨).

(١٦) الموافقات في أصول الشريعة (٢/ ١٢٧)، وينظر: الرسالة/ ص٥١- ٥٧، ومجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٨)، والاعتصام (٢/ ٢٩٧)، والصواعق المرسلة (١/ ١٥).

(١٧) أي أنَّ ما ورد في الشريعة من الكتاب والسنة، وما ورد من كلام العرب من نمط واحد وطريق واحد ومشكاة واحدة، سوى ما ٱختصَّ به من المزايا التي ترتفع بها درجة الكلام في البلاغة والحُسن والقبول!! فالقرآن الكريم ٱنفرد عن سائر كلام العرب بمزايا جعلته معجزاً للبشر عن الإتيان بسورة منه، والحديث ٱمتاز بما جعله يفوق غيره من كلامهم؛ وإنْ لم يبلغ درجة الإعجاز!! [هذا التعليق من كلام المحقق بتصرف].

(١٨) الموافقات في أصول الشريعة (٥/ ٥٣)، وينظر: شذرات الذهب – دراسة في البلاغة القرآنية/ ص٩.

(١٩) هو أبو الرَّيحان محمد بن أحمد البيروني (ت٤٤٠هـ): فيلسوف، رياضي، مُؤرِّخ، من أهل خوارزم/ ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٣١٤).

(٢٠) ينظر: اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص٤.

(٢١) المفصل في صنعة الإعراب/ ص١٨.

(٢٢) الخصائص – «**باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية**»، (٣/ ٢٤٥).

(٢٣) ينظر: المستدرك/ كتاب التفسير (باب تفسير سورة حم السجدة)، رقم الحديث: (٣٦٠١)، (ج٨/ ص٣١٢)، وجامع الأحاديث/ حرف الهمزة من قسم الأقوال (الهمزة مع الراء)، رقم الحديث: (٣١٦١)، (ج٤/ ص٢٦٨)، وكنز العمال/ حرف الهمزة (الباب السابع/ في تلاوة القرآن وفضائله – الفصل الثالث: في آداب التلاوة)، رقم الحديث: (٢٨٠٩)، (ج١/ ص٦١١).

(٢٤) الخصائص – «**باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية**»، (٣/ ٢٤٦).

(٢٥) ينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك/ ص١٥٨، وأثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص٥، وأثر الدلالة النحوية واللغوية في ٱستنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية/ ص٢٦- ٢٧.

(٢٦) ينظر: شذرات الذهب – دراسة في البلاغة القرآنية/ ص٦- ٧.

(٢٧) تاريخ آداب العرب (١/ ١٩١).

(٢٨) ينظر: نحو وعي لغوي/ ص٥٠- ٥١، واللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع – ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٤٣.

(٢٩) ينظر: نحو وعي لغوي/ ص١٣٩، واللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، مجلَّة الضَّاد (العدد الرابع – ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص٤٦.

(٣٠) ينظر: الرسالة/ ص٥٢- ٥٣، وتأويل مشكل القرآن/ ص٨٦، ومقدمة التفسير، للأصفهاني/ ص٤٢٥، والموافقات في أصول الشريعة (٥/ ٥٧)، ومحاسن التأويل (١/ ٦٢)، وقواعد التفسير - جمعاً ودراسة (١/ ٢٢٤- ٢٣٠)، وتفسير النصوص في الفقه الإسلامي (١/ ٧٢)، والتفسير اللغوي/ ص٥٠.

(٣١) ينظر: محاسن التأويل (١/ ١٠)، وقواعد التدبر الأمثل/ ص٣١٧- ٣٥٩، و٤٥٣ وما بعدها.

(٣٢) المعاني السبعة/ ص١.

(٣٣) **اللَّبِن:** جمع لَبِنة؛ وهو ما يُبنى به [ينظر: الصحاح (٦/٢١٩٢)].

(٣٤) المفردات في غريب القرآن (١/ ٤)، وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ١٦٠).

(٣٥) البحر المحيط (١/ ١٠٤)، وينظر: مباحث في علم التفسير/ ص١٥٥- ١٥٦، والتفسير اللغوي/ ص٦٤١- ٦٤٢.

(٣٦) قواعد التدبر الأمثل/ ص٣١٧.

(٣٧) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٧)، وينظر: الفكر الديني في مواجهة العصر/ ص٣٣٩- ٣٤٠.

(٣٨) قواعد التدبر الأمثل/ ص٤٥٥.

(٣٩) قواعد التدبر الأمثل/ ص٤٥٦.

(٤٠) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص٣١٩، وشذرات الذهب/ ص٢٥.

(٤١) ينظر: المرجع نفسه/ ص٣١٨- ٣٢١، و٤٦٢، و٥٥١.

(٤٢) بنية العقل العربي/ ص١٥، وينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية/ ص١٣١.

(٤٣) أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص٢٥.

(٤٤) شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص٣٢- ٣٣، وينظر: الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص١٤٣- ١٥٠، و١٥٦- ١٥٧.

(٤٥) التفسير اللغوي/ ص٦٧٧، وينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص٢٥.

(٤٦) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص٣١٩.

(٤٧) المرجع نفسه/ ص٥٣- ٥٤.

(٤٨) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص٣٢٤، والإتقان «**النوع الأربعون - في معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المُفسِّر**» (١/ ٤٢٥- ٥٢٨).

(٤٩) قواعد التدبر الأمثل/ ص٤٥٣.

(٥٠) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٠٨.

(٥١) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص٣٢٤.

(٥٢) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص١٣، و٦٧.

(٥٣) المرجع نفسه/ ص١٣- ١٤، وينظر: ص٢٠٤.

(٥٤) قواعد التدبر الأمثل/ ص١٤- ١٥.

(٥٥) المرجع نفسه/ ص١٥، و١٧.

(٥٦) قواعد التدبر الأمثل/ ص٦٩.

(٥٧) المرجع نفسه/ ص٦٣، و٧١.

(٥٨) ينظر: المرجع السابق/ ص٢٠٤- ٢٠٥، ولمسات بيانية في نصوصٍ من التنزيل/ ص٦٨.

(٥٩) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص٦٨، و١٤٠، و٢٢٩.

(٦٠) ينظر: معالم التنزيل (١/ ٤٥)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٦٨)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٦، و١٥٣)، والإتقان في علوم القرآن «**النوع الثامن والسبعون – في معرفة شروط المفسر وآدابه**» (٢/ ٣٥١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٥١)، وأصول التفسير وقواعده/ ص٩٤، والتفسير اللغوي/ ص٥٠.

(٦١) لم نجدْ له تخريجاً في كُتُب المتون!! ينظر: الفائق في غريب الحديث (٣/ ٦٥)، وغريب ٱبن الجوزي (٢/ ٣٨٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١).

(٦٢) مباحث في علم التفسير/ ص١٧٣.

(٦٣) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص٣١٩، ولغة القرآن/ ص٤٤٦.

(٦٤) ينظر: التفسير اللغوي/ ص٦٧٤.

(٦٥) التفسير اللغوي/ ص٦.

(٦٦) **المعنى الشرعي، أو الدلالة الشرعية:** هي الدلالة الجديدة التي جاء بها الإسلام؛ إذ تنتقل اللفظة فيها من دلالتها اللغوية التي كانت عليها قبل الإسلام إلى الدلالة الجديدة التي نطق بها القرآنُ الكريم، أو الحديثُ النبوي الشريف، ثمَّ الصحابة والتابعون ﷺ، ثمَّ فقهاء الإسلام من بعدهم.. فلفظُ «**الشريعة**» مثلاً أصله من الفعل «**شرع**»، ويدلُّ في اللغة على مشرعة الماء، ومورد الإبل إلى الماء الجاري.. ثمَّ أستعير شرعاً للدلالة على الأحكام الجزئية التي يقوم بها المُكلَّف معاشاً ومعاداً، والتي جاء بها نبيٌّ من الأنبياء عليهم السلام من عند ربِّهِ؛ فغدتْ لها دلالتها الجديدة؛ وهي: الإظهارُ والبيان [ينظر: الكُلِّيَّات، للكفوي (٣/ ٥٦)، وكشاف ٱصطلاحات الفنون والعلوم (٤/ ١٢٩)].. وقد أُطلق على هذه الطائفة من الألفاظ ٱسم: «**الألفاظ الإسلامية**»، التي هي ((من الألفاظ الاصطلاحية؛ لأنها ممَّا جاء به الإسلام، وٱصطلح عليه بهذه الدلالة الجديدة))

[فقه اللغة العربية، للزيدي/ ص١٤٧]؛ فلم يكن العرب يعرفون تلك الألفاظ الاصطلاحية قبل الإسلام على النحو الذي عرفوها به أثناءه.

وحدَّها أبو حاتمٍ الرازيُّ رحمه الله في كتابه: «**الزينة في الكلمات الإسلامية**» بأنها: ((أسامٍ دلَّ عليها النبيُّ ﷺ في هذه الشريعة، ونزل بها القرآنُ الكريم؛ فصارتْ أُصُولاً في الدِّين، فروعاً في الشريعة لم تكنْ تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب.. وأسامٍ جاءتْ في القرآن لم تكن العرب تعرفها، ولا غيرُها من الأُمم)) [(١/ ١٤٠)].. وحدَّها أبو هلال العسكري رحمه الله بأنها: ((ما نُقل عن أصله في اللغة؛ فسُمِّيَ به فعلٌ أو حُكمٌ في الشرع؛ نحو الصَّلاة، والزكاة، والصَّوم، والكفر، والإيمان، والإسلام...)) [الفروق اللغوية/ ص٣٥، وينظر: العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص٦– ٧].

(٦٧) **المعنى العُرفيُّ، أو الحقيقة العُرفية:** هي ما ٱستقرت النفوس عليه بشهادة العقل، وتلقته الطبائع السَّليمة بالقبول.. وهي دليلٌ كاشف – إذا لم يوجدْ نصٌّ ولا إجماعٌ – على ٱعتباره أو إلغائه [ينظر: التعريفات/ ص٨٦، والموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ١٣٠– ١٣١)].. **فالاسمُ العرفيُّ:** هو الاسمُ المنقول عن بابه بعُرف الاستعمال؛ كاختصاص لفظ «**الدَّابَّة**» بذوات الأربع التي هي بعض ما يدبُّ على الأرض.. ولو رجعنا إلى أصل وضعها اللغويِّ؛ لوجدناها تطلق على كلِّ ما يدُبُّ على الأرض!! وكذلك ٱختصاص ٱسم «**المُتكلِّم**» بالعالِمِ في الجدل العقائديِّ؛ مع أنه في أصل الاستعمال عامٌّ في كلِّ قائل!! وبذا برزتْ لـ«**المتكلم**» حقيقةٌ جديدة بحُكم ٱستعماله الجديد في العصور الإسلامية [ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٥٢)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٧)، والمُستصفى من علم الأصول (١/ ٣٢٥)، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١/ ٥٤)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني (٢/ ١٢)، وأسباب ٱختلاف الفقهاء/ ص٢٣٤، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص٥– ٦].

(٦٨) ينظر: شرح كتاب (مقدِّمة في أصول التفسير)، ص٧٥– ٧٧.

(٦٩) ينظر: شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص١٨٦.

(٧٠) على أن لا يُفهم الكلام أعلاه على أنه غض من قيمة المعنى القاموسي والدلالة المعجمية للمفردات اللغوية والقرآنية أو أنه تقليل من شأنهما وأهميتهما في حقل الدراسات اللغوية؛ إذ لا يتسنى للباحث تحديد معاني الكلمات إلَّا في ضوء العلاقات الترابطية فيما بينها بموجب ٱرتباطها بالكلمات الأخرى، ويكتمل تحديد هذا الارتباط بحسب ما يُسمَّى بـ«**الحقل المعجمي**»؛ الذي هو عبارة عن مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها [ينظر:

علم الدلالة، لبالمر/ ص٧٧، وعلم الدلالة، لعمر/ ص٧٩، والتفسير اللغوي للنصوص الدينية والأدبية/ ص٨٠].

(٧١) ينظر: علم اللغة، للسعران / ص٢٦٣، ومنهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ص١٣٨، وظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة/ ص٦٤، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى/ ص١، واللغة والمعنى والسياق، للاينز/ ص٢٧- ٢٨، ونظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث/ ص٨٨.

(٧٢) من أسرار اللغة/ ص٢٣٢.

(٧٣) ينظر: شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص١٨٦- ١٨٧، والبحث البلاغي عند الأصوليين/ ص٣٠٢، و٣١٦.

(٧٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ١١٨)، وينظر: البحث البلاغي عند الأصوليين/ ص٣١١.

(٧٥) **المذل**: الغرض والضجر والقلق [ينظر: العين (٨/ ١٨٨)، والصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، (٢/ ١٦٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٧٥)، ولسان العرب (١١/ ٦٢١)].

(٧٦) **التتائُع**: التهافت في الشر واللجاج، **والتتايع**: ركوب الأمر على خلاف الناس، وتتايع الحيران في الأمر، والسكران في المشي: رمى بنفسه سريعاً من غير تثبت، وتتايع القوم في الأرض؛ إذا تباعدوا فيها على عمىً وشده!! [ينظر: العين (٢/ ٢٢٧)، والصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، (١/ ٦٧)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٢٩)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٥٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٢٧)].

(٧٧) الخصائص (٣/ ٢٦٠).

(٧٨) دلائل الإعجاز/ ص٥٥- ٦٠، وينظر: المثل السائر (١/ ١٩١)، والنقد اللغوي عند العرب/ ص٢٩٢، وعلم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص٢٠٤، وعلوم القرآن – مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه/ ص٢٨.

(٧٩) الموافقات في أصول الشريعة (٢/ ١٣٨- ١٣٩).

(٨٠) التفسير اللغوي/ ص٤١، وينظر: ص٤٨، و٦١٨، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/ ١٨٩- ١٩١).

(٨١) ينظر: المرجع نفسه/ ص٦١٨.

(٨٢) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار/ ص١٤٤- ١٤٥، وينظر: التفسير اللغوي/ ص٤٨- ٤٩.

(٨٣) التفسير – نشأته، وتدرجه، وتطوره/ ص٧٧- ٧٩، وينظر: التفسير اللغوي/ ص٦٤٤- ٦٤٥.

(٨٤) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٢٣).

(٨٥) التفسير اللغوي/ ص٦٤٦.

(٨٦) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٢٠٠)، وينظر: التفسير اللغوي/ ص٦٤٦- ٦٤٧.

(٨٧) التفسير اللغوي/ ص٦٤٧، وينظر: مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن/ ص٢٢.

(٨٨) ينظر: إحياء علوم الدين (١/ ١٧)، ومُقدِّمة في أصول التفسير/ ص٧٩- ٨١، والتفسير اللغوي/ ص٥٠، و٦٣٣- ٦٥٠.

(٨٩) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٤)، وينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك/ ص١٤٨.

(٩٠) يُريد بـ«**الأولين**»: من يحملون ألفاظ القرآن على ٱعتقادهم؛ فهم يعتقدون أولاً، ثمَّ يستدلون ثانياً [ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٥ وما بعدها)، وتفسير المنار (١/ ٣٠)، و(١١/ ٣٧٤)، والتفسير والمفسرون (١/ ٢٧٥- ٢٧٦، و٢٨١)، و(٢/ ٤٧٥- ٤٧٦)، ومباحث في علم التفسير/ ص١٣٨- ١٣٩، وتطور تفسير القرآن/ ص٢١٤، و٢٢٠].

(٩١) مقدمة في أصول التفسير/ ص٣٦، وينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك/ ص١٤٩.

(٩٢) ينظر: ص٦٧٧.

(٩٣) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٤٦، وينظر: ص٤٩٢، وأثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص٣، والإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم/ ص٧.

(٩٤) علم اللغة العربية/ ص٣٥.

(٩٥) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته (١/ ٤٠)، وينظر: شذرات الذهب – دراسة في البلاغة القرآنية/ ص٢٥.

(٩٦) الدراسات اللغوية في تفسير اللباب/ ص١٤٤.

(٩٧) وقد تقدَّم معنا في بداية هذا المبحث أن ٱبن فارس قد عقد في كتابه «**الصاحبي**» باباً بعنوان: «**القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية**»، كمثالٍ لما تناوله العلماء في هذا الجانب الخطير.

(٩٨) ينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص٧.

(٩٩) الحفاظ على سلامة اللغة العربية في العراق – مجلَّة الضَّاد (العدد الثالث)، ص١٤.

(١٠٠) ينظر: الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية/ ص١٧٩.

(١٠١) الكلمة – دراسة لغوية معجمية/ ص٦٧.

(١٠٢) معاني النحو (١/ ٩)، وينظر: الدراسات اللغوية في تفسير اللباب/ ص١٣٥.

(١٠٣) دراسات في النحو/ ص٦٣٤، وينظر: الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص٣٤١.

(١٠٤) ينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل/ ص١٩٦، والدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية/ ص١٥٩.

(١٠٥) ينظر: دراسات في النحو/ ص٦٣٤، والإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص٣٤١.

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم.**

٢- **الاتجاه اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري:** بحث أعده الدكتور عمار عبد الكريم عبد المجيد الجعفري (غير مطبوع)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٣- **الإتقان في علوم القرآن:** أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤- **أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي:** أ. د. محمد المختار محمد المهدي/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٥- **أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية «أصلُه أُطروحة دكتوراه»:** عبد القادر بن عبد الرحمن السعدي/ مطبعة الخلود (بغداد)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦- **أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى:** د. رشيد بلحبيب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الأول (المغرب)، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٧- **الإحكام في أصول الأحكام:** سيف الدين أبو الحسن الآمدي (ت٥٥١هـ)، تحقيق: د. سيد الجميلي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٨- **إحياء علوم الدين:** الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار المعرفة (بيروت)، (ب. ت).

٩- **أصول التفسير وقواعده «ضمن سلسلة بحوث في العلوم القرآنية»:** الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك/ دار النفائس (بيروت)، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٠- **الاعتصام:** أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، دار إحياء التراث (بيروت)، ١٩٧٩م.

١١- **الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم:** أ. د. عمر يوسف حمزة/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

١٢- **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم:** جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

١٣- **الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»:** خير الدين الزركلي (ت١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٥/ ١٩٨٠م.

١٤- **الأغاني**: أبو الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ)، دار الكتب (القاهرة)، ١٩٧٠م.

١٥- **الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن**: أ. د. محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٦- **البحث البلاغي عند الأصوليين «أُطروحة دكتوراه»**: حسن هادي محمد/ الجامعة المستنصرية – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٧- **البحر المحيط**: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل/ دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٨- **البداية والنهاية، الشهير بـ«تاريخ ابن كثير»**: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف (بيروت)، ط٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٩- **البرهان في علوم القرآن**: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الفكر (بيروت)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٢٠- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**: العلامة اللغوي أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢١- **بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)**: د. محمد عابد الجابري المغربي/ مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٢- **التأويل الباطني في القرآن الكريم «أُطروحة دكتوراه»**: خليل رجب حمدان الكبيسي/ إشراف أ. د. محمد رمضان عبد الله/ جامعة بغداد – كلية العلوم الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٢٣- **تأويل مشكل القرآن**: ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح ونشر: السيد أحمد صقر/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٤- **تاريخ آداب العرب**: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢٥- **التحرير والتنوير، الموسوم بـ«تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد»**: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ط٣١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م.

٢٦- **تطور تفسير القرآن – قراءة جديدة**: أ. د. محسن عبد الحميد أحمد/ مديرية دار الكتب – جامعة الموصل، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٧- **التعريفات**: أبو الحسن الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٨- **التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية «أُطروحة دكتوراه»**: نوار محمد إسماعيل الحيالي، إشراف: أ. م. د. عماد عبد يحيى الحيالي/ جامعة الموصل – كلية الآداب، محرم ١٤٢٥هـ/ شباط ٢٠٠٤م.

٢٩- **التفسير البياني للقران الكريم**: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ/ دار المعارف – القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٣٠- **التفسير اللغوي في «محاسن التأويل»، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، «أُطروحة دكتوراه»**: ماهر جاسم حسن الأومري، إشراف: أ. د. مُحيي الدين توفيق إبراهيم/ جامعة الموصل- كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣١- **التفسير اللغوي للقرآن الكريم «أصله أُطروحة دكتوراه»**: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار/ دار ابن الجوزي – الدَّمَّام، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٢- **التفسير اللغوي للنصوص الدينية والأدبية في كتاب «الاشتقاق»، لابن دريد (ت٣٢١هـ)، «أُطروحة دكتوراه»**: إباء يونس رشيد البنا، إشراف: أ. م. د. عماد عبد يحيى الحيالي/ جامعة الموصل – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٣- **تفسير المنار**: السيد محمد رشيد رضا (ت١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٤- **التفسير – نشأته، وتدرجه، وتطوره**: الأستاذ أمين الخولي (ت١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط١/ ١٩٨٢م.

٣٥- **تفسير النصوص في الفقه الإسلامي**: أ. د. محمد أديب صالح/ المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٤، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م.

٣٦- **التفسير والمفسرون**: أ. د. محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ)، دار القلم – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٧- **تهذيب اللغة**: أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ محمد فرح العقدة/ مراجعة: الأستاذ محمد علي البيجاوي، (بلا معلومات نشر).

٣٨- **جامع الأحاديث**: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة)، (ب. ت).

٣٩- **جامع البيان في تأويل آي القرآن، الشهير بـ«تفسير الطبري»**: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار سويد – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.

٤٠- **الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ«تفسير القرطبي»**: أبو عبد الله القرطبي، المالكي (ت٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي – القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٤١- **الحفاظ على سلامة اللغة العربية:** أ. د. أحمد مطلوب/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد (ج٣)، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.

٤٢- **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النَّجَّار/ دار الكتب – القاهرة، ١٣٧١هـ.

٤٣- **دراسات في النحو «مقالات»:** صلاح الدين الزعبلاوي/ عن موقع اتحاد كتاب العرب، وموقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٤٤- **الدراسات اللغوية في تفسير «اللباب في علوم الكتاب»، لابن عادل الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ)، «أُطروحة دكتوراه»:** إسماعيل عباس حسين الكعبي، إشراف: أ. د. عبد الله أحمد الجبوري/ الجامعة المستنصرية – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ذو القعدة ١٤٢٣هـ/ كانون الثاني ٢٠٠٣م.

٤٥- **الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية «رسالة ماجستير»:** غانم كامل سعود الحسناوي، إشراف: أ. د. صباح عباس السالم/ جامعة بابل- كلية التربية (قسم اللغة العربية)، رمضان ١٤٢٤هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٣م.

٤٦- **دلائل الإعجاز:** عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. محمد التنجي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١/ ١٩٩٥م.

٤٧- **الرسالة:** الإمام الشافعي (رحمه الله)، (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد محمد شاكر/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ١٣٥٨هـ.

٤٨- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ«تفسير الآلوسي»:** أبو الثناء الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٩- **الزينة في الكلمات الإسلامية العربية:** أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق وتعليق: حسين بن فيض الله الهمذاني/ دار الكتاب العربي (القاهرة)، ط٢/ ١٩٥٧م.

٥٠- **السيرة النبوية:** أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف (بيروت)، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥١- **السيرة النبوية:** أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري (ت٢١٣هـ)، دار الجيل (بيروت)، ط٥، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٢- **شذرات الذهب – دراسة في البلاغة القرآنية:** أ. د. محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٣- **شرح كتاب «مقدمة في أصول التفسير» لابن تيمية:** محمد عمر سالم بازمول/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، ١٤٢٣هـ – ١٤٢٤هـ.

٥٤- **الشعر الجاهلي – قضاياه وظواهره الفنية:** أ. د. كريم عبيد هليل الوائلي/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٥٥- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت٣٩٥هـ)، تعليق: أحمد حسن بسج/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٥٦- **الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»:** أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥٧- **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز:** يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩هـ)، مراجعة: محمد عبد السلام شاهين، تصحيح: سيد بن علي المرصفي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٥٨- **ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة:** أ. د. أحمد نصيف الجنابي/ بحثٌ منشور في مجلَّة المَجْمَع العلمي العراقي – المُجلَّد (٣٥– ج٤)، مُحرَّم ١٤٠٥هـ/ تشرين الأول ١٩٨٤م.

٥٩- **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم «رسالة ماجستير»:** آلان سمين مجيد زنگنة، إشراف: أ. د. گاصد ياسر حسين الزيدي/ جامعة بغداد – كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، رجب ١٤٢٣هـ/ أيلول ٢٠٠٢م.

٦٠- **علم الدلالة:** أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر/ مكتبة دار العروبة (الكويت)، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٦١- **علم الدلالة:** أف. آر. بالمر (F. R. Palmer)، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة/ مطبعة العمال المركزية، الجامعة المستنصرية (بغداد)، ١٩٨٥م.

٦٢- **علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي:** د. منقور عبد الجليل/ موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦٣- **علم اللغة العربية** «Linguistics» – مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية: أ. د. محمود فهمي حجازي/ دار غريب (القاهرة)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٤- **علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي:** د. محمود السعران/ دار المعارف (القاهرة)، ١٩٦٢م.

٦٥- **علوم القرآن – مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه:** د. عدنان محمد زرزور/ المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٦٦- **العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: الأُستاذ الدكتور مهدي المخزومي، والأُستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد – بغداد، ١٩٨٠– ١٩٨٢م.

٦٧- **غريب الحديث:** جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعچي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٩٨٥م.

٦٨- **الفائق في غريب الحديث:** جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر - بيروت، ط١/ ١٣٨٥هـ.

٦٩- **الفروق اللغوية:** أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: سلام الدين القدسي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، (ب. ت).

٧٠- **فقه اللغة العربية:** أ. د. گاصد ياسر حسين الزيدي (ت١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، دار الكتب (جامعة الموصل)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧١- **فقه اللغة «مفهومه، موضوعاته، قضاياه»:** محمد بن إبراهيم الحمد/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٧٢- **فقه اللغة وسر العربية:** أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، مكتبة الحياة (بيروت)، ١٣١٨هـ.

٧٣- **الفكر الديني في مواجهة العصر - دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث:** عفت محمد الشرقاوي/ مكتبة الشباب (القاهرة)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٧٤- **قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد:** عثمان علي حسن/ دار الوطن - الرياض، ط١/ ١٤١٣هـ.

٧٥- **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل:** تأمُّلات الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٧٦- **قواعد التفسير «جمعاً ودراسة»:** خالد بن عثمان السبت/ دار عثمان بن عفان (الرياض)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧٧- **كتاب الصناعتين «الكتابة والشعر»:** أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٢/ ١٤١٨هـ.

٧٨- **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم «موسوعة المصطلحات العربية والإسلامية»:** محمد بن علي التهانوي (توفي بعد سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، تقديم: د. رفيق العجم/ تحقيق: د. علي دحروج، وآخرين/ مكتبة لبنان (بيروت)، ط١/ ١٩٩٦م.

٧٩- **الكلمة «دراسة لغوية معجمية»:** أ. د. حلمي خليل/ دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٠م.

٨٠- **الكليات «معجم الفروق والمصطلحات اللغوية»:** أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٨١- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:** علاء الدين المتقي الهندي (ت٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٩٨٩م.

٨٢- **لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري (ت٧١١هـ)، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨٣- **اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم):** د. هادي نهر/ بحثٌ منشور في مجلَّة الضَّاد – ج٤، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.

٨٤- **اللغة العربية – لسان وكيان:** أحمد محمد جمال/ بحثٌ منشور في مجلَّة البحوث الإسلامية – العدد الأول.

٨٥- **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات:** أ. د. فرحان السليم/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

٨٦- **لغة القرآن:** عبد الجليل عبد الرحيم/ مكتبة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٧- **اللغة والمعنى والسِّياق:** جون لاينز (John Lyons)، ترجمة: د. عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة: د. يوئيل يوسف عزيز/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١/ ١٩٨٧م.

٨٨- **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل:** أستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨٩- **مباحث في علم التفسير:** أ. د. عبد الستار حامد الدباغ/ دار الحكمة – الموصل، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٩٠- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:** أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير الكاتب (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية (بيروت)، ١٩٩٥م.

٩١- **مجلَّة الضَّاد** «تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في جمهورية العراق»: رئيس التحرير: أ. د. أحمد مطلوب/ ج٣، ذو الحجَّة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م، وج٤، ذو الحجَّة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.

٩٢- **مجموعة الرسائل والفتاوى الكبرى:** شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف/ دار المعرفة (بيروت)، ط١، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٩٣- **محاسن التأويل، الشهير بـ«تفسير القاسمي»:** الإمام محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

٩٤- **المحكم والمحيط الأعظم:** أبو الحسن ابن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٩٥- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها:** الإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل أبراهيم، وعلي محمد البجاوي/ المكتبة العصرية (بيروت)، ١٩٨٦م.

٩٦- **المستدرك على الصحيحين:** أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٩٧- **المُستصفى من علم الأُصول:** الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد سليمان الأشقر/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩٨- **معالم التنزيل، الشهير بـ«تفسير البغوي»:** الفرّاء البغوي (ت٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر/ دار طيبة (الرياض)، ط٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٩٩- **المعاني السبعة في ألفاظ القرآن:** فاروق البرزنچي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠٠- **معاني النحو:** أستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي/ مطبعة التعليم العالي (الموصل)، بيت الحكمة (بغداد)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٠١- **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته:** أ. د. أحمد مختار عبدالحميد عمر (بمساعدة فريق عمل متخصص)، مؤسسة التراث (الرياض)، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠٢- **المفردات في غريب القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم – دمشق، والدار الشامية – بيروت، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

١٠٣- **المفصل في صنعة الإعراب:** جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الهلال (بيروت)، ط١/ ١٩٩٣م.

١٠٤- **مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن:** د. نصر حامد أبو زيد/ المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٠٥- **مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون/ دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٦- **مقدمة التفسير:** الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، المطبعة الجمالية (القاهرة)، ط١/ ١٣٢٩هـ.

١٠٧- **مقدمة في أصول التفسير:** شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: أ. د. عدنان محمد زرزور/ دار القرآن الكريم (الكويت)، ط٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٠٨- **من أسرار اللغة:** أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، ط٧، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٠٩- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨م)، تحقيق: الشيخ سليم الكردي/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ب. ت).

١١٠- **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث:** أ. د. علي عبد الحسين زوين/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١١١- **الموافقات في أصول الشريعة:** أبو إسحاق الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ دار ابن عفان (القاهرة)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١١٢- **الموسوعة الفقهية الكويتية:** وزارة الأوقاف (الكويت)، ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ/ الأجزاء «١- ٢٣، و٣٩- ٤٥»: ط٢، شركة ذات السلاسل (الشامية - الكويت)، الأجزاء «٢٤- ٣٨»: ط١، دار الصفوة (القاهرة).

١١٣- **النبأ العظيم «نظرات جديدة في القرآن الكريم»:** د. محمد بن عبد الله دراز (ت١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، عناية: أحمد مصطفى فضلية/ تقديم: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني/ دار القلم (الكويت)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١١٤- **نحو وعي لغوي:** أ. د. مازن المبارك/ دار البشائر (دمشق)، ط٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١٥- **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث:** د. نهاد الموسى/ المؤسسة العربية للدراسات (بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٦- **النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري:** أ. د. نعمة رحيم العزاوي/ دار الحرية (بغداد)، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

١١٧- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية (بيروت)، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.